بسم الله الرحمن الرحيم

تجليات التناص في شعر ابن الجنان الأندلسي
قراءة نقدية

د . خديجة البدوي
جامعة طرابلس. كلية التربية جنزور

ملخص البحث: التناص مصطلح نقدي ،يحدث تفاعلا عميقا بين النصوص الأدبية ، وتأثيرا واضحا في دلالاتها وأبنيها ، ظهر ضمن مصطلحات الفكر النقدي الحديث ، ولقي اهتماما واسعا لدى النقاد والباحثين ،وتم تطبيقه في تحليل نصوص إبداعية عربية حديثة وقديمة ؛لأنه يشكل أداة قادرة على كشف مواطن الإبداع في النص الأدبي، وتعميق الرؤية النقدية وتقييمها. والسماح بتعدد وجوه القراءات.

وحظي الأدب الأندلسي بنصيب وافر من هذا الاهتمام ؛ حيث تم توظيف تقنية التناص على عدد من الأعمال الإبداعية الأندلسية الشعرية والنثرية ، وحقق في ذلك نتائج إيجابية . ومن شأن هذا التوجه، القائم على تطبيق نتائج البحوث العلمية النقدية الحديثة على التراث الأدبي العربي قديمه وحديثه ؛ أن يحقق تراكما معرفيا نقديا ، قابلا للانسجام والصمود أمام الاطروحات الحديثة ،بما يمكن من الإسهام في بلورة رؤية نقدية عربية بمنطلقات خاصة ، مواكبة لمستجدات العصر ،مفتوحة على الإمكانيات التقنية الحديثة وأدواتها ووسائلها ، لتتبوأ مكانها على مستوى الإبداع الإنساني.

الكلمات المفتاحية : تجليات ، التناص ، شعر ، ابن الجنان ، الأدب الأندلسي .

المقدمة :

مع بداية القرن الماضي ظهرت على الساحة النقدية دعوات تشكك في قدرة المناهج التقليدية على" تقديم رؤية ثاقبة للأدب" وتدعو إلى البحث عن آليات جديدة تمكن الناقد من النفاذ إلى داخل النص بعيدا عن الجوانب المحيطة به، ثم تبلورت النظرية النقدية الحديثة في صورة متعددة الوجوه ، وظهرت المناهج النقدية التي تلتقي جميعا في أهمية أن يستقل النقد عن العلوم الأخرى ، وأن يتم التركيز في النص الأدبي على تفاعل بنية القصيدة ولغتها المجازية ونسيجها اللفظي وصورها ورموزها وإيحاءاتها وتعدد مستويات المعنى بعيدا عن الجانب التاريخي، ثم تطورت الأمور ودخلت كثير من الآراء والأصوات محققة تراكما معرفيا نقديا كبيرا ، وعلى المستوى النظري دخلت أصوات نقدية عربية حديثة ، وكانت صدى لحوارات نقدية واسعة وتفاعل ايجابي "خارج مجالها الفكري والحضاري" .

برز مصطلح التناص ضمن مصطلحات الفكر النقدي الحديث، وثمة من يجعل له جذورا في النقد القديم ، ومن يراه خاصا بالنظرية النقدية الحديثة ، وكيفما كان ؛ فقد قوبل بترحاب كبير ، ووجد له صدى واضحا بين النقاد ، ولقي اهتماما واسعا لدى الباحثين والدارسين ،لأنه يشكل ـ في الجانب الإبداعي ـ أداة قادرة على إحداث تفاعل واضح في دلالات النصوص الأدبية وأبنيتها، وتم توظيفه في تحليل نصوص إبداعية عربية حديثة وقديمة ،وكشف مواطن الإبداع فيها، وتعميق الرؤية النقدية وتقييمها . وحظي الأدب الأندلسي- بنصيب وافر من هذا الاهتمام ، فقد تم توظيف تقنية التناص على عدد من الأعمال الإبداعية الأندلسية الشعرية والنثرية ،وحقق في ذلك نتائج إيجابية.

ومن شأن هذا التوجه في تطبيق نتائج البحوث العلمية الحديثة على التراث الأدبي العربي قديمه وحديثه ؛ أن ينجز تراكما معرفيا قابلا للانسجام والصمود أمام الاطروحات الحديثة ،بما يمكن من الإسهام في بلورة رؤية نقدية بمنطلقات خاصة ؛ متمسكة بالثوابت مواكبة لمستجدات العصر ،مفتوحة على الإمكانيات التقنية الحديثة وأدواتها ووسائلها ، لتتبوأ مكانها على مستوى الإبداع الإنساني .

أسئلة البحث : يسعى البحث إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية :

ما هي مقومات الابداع في شعر ابن الجنان ؟ ما المواضيع التي كانت حاضرة في شعره ؟ ما مواضع التناص فيه ؟ ما ألوان التناص التي استعان بها؟ . لماذا استخدم الشاعر تقنية التناص ؟ ، كيف كان استخدامه لهذه التقنية ؟

مشكلة البحث :

التراث الأندلسي حقل غني بإنتاجه ، زاخر بمقوماته الفكرية ، باهر بمعالمه الحضارية ،مترع بمختلف الوان العلوم والمعارف والآداب والفنون ، وهو مازال في حاجة ماسة للمزيد من الدراسات المتخصصة ،والقراءات العلمية المدققة ،والاستعانة بالمناهج النقدية الحديثة في كشف مواطن الابداع في الأعمال الأدبية ،ورصد مقوماتها ،وكشف آفاقها الإبداعية ،والوقوف على منطلقاتها وخصائصها وملامحها وتاثيراتها وامتداداتها .

الدراسات السابقة : دراسة حول ظاهرة التكرار في شعر ابن الجنان أعدها د . سالم عبيد عبد المحسن القرراعة بجامعة القصيم عام 2012 ، تتبع فيها نماذج من شعره التي تجسد التكرار الحرفي واللفظي وأثرهما في الارتقاء بالمعاني وتزيين الألفاظ ، ودراسة حول المديح النبوي في شعر ابن الجنان دراسة تحليلية فنية د . عبد العظيم أبو علي بجامعة المنوفية عام 2020 .

أهداف البحث : يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية :

- متابعة مايجري على الساحة النقدية الحديثة من حوارات على مستوى المناهج النقدية والأدوات الإجرائية والمصطلحات .
- التعمق في فهم الأدب الأندلسي والوقوف على مقوماته وأساليبه ومكوناته وكشف مواطن الإبداع فيه .
- الوقوف على مفهوم التناص ؛أهميته ، وآلية تطبيقه على شعر ابن الجنان .

أهمية البحث : تكمن أهمية هذا البحث في أنه يلقي الضوء على ثلاثة جوانب : **الأول** : الأدب الأندلسي : والإسهام في كشف كنوزه واظهار جوانب الإبداع فيه . **الثاني**: التيار الذي يمثله الشاعر ولم ينل حظه من البحث مقارنة بغيره من الموضوعات ؛وهو الأدب الذي يحث على القيم الأخلاقية ،ويدعو إلى الفضائل ويعالج الموضوعات الدينية والاجتماعية الرصينة ،مخالفا بذلك بعض التيارات السائدة. **الثالث**: توظيف المناهج النقدية الحديثة في تحليل نماذج من الشعر الأندلسي، والوقوف على ثقافة الشاعر ومرجعيته الفكرية وأدواته الإجرائية .

منهجية البحث: تمت الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي في رصد نماذج مختلفة من شعر ابن الجنان وتحليلها واستخلاص النتائج منها ، والمنهج التاريخي في المادة التاريخية والتراجم والتواريخ .

خطة البحث : سوف يقوم البحث على خطة تحتوي على، مدخل ومبحثين وخاتمة جاءت كما يلي:

مدخل : تعريف بالشاعر وعصره

المبحث الأول : التناص في الفكر النقدي:

- **أولا : تعريف التناص؛ لغة واصطلاحا ،**
- **ثانيا : التناص في النقد الحديث (الغربي – العربي)**
- **ثالثا وظائف التناص**
  1. **الوظيفة الإبداعية :**
  2. **الوظيفة الشعرية**
  3. **الوظيفة النقدية**

المبحث الثاني : التناص في شعر ابن الجيان :

- **أولا : التناص الديني :**
  1. **الاقتباس من القرآن الكريم**
  2. **التناص مع الحديث الشريف**
- **ثانيا : التناص الأدبي : التناص مع النصوص الشعرية**
- **ثالثا : التناص التاريخي :**
  1. **تناص الأعلام**

2. تناص الأماكن

الخاتمة والنتائج :

مدخل : تعريف بالشاعر وعصره ومصادر ترجمته:

هو أبو عبدالله مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري الأندلسي ، المعروف بابن الجَنّان ، من أهل مرسيه ،عاش إبان عصر الموحدين في القرن السابع الهجري ؛حيث شهدت هذه الفترة حركة ازدهار واسعة للحياة الفكرية بصفة عامة ، ومن أبرز أعلامها في الحديث والتفسير: ابن القطان أبو الحسن علي ،ت 628هـ [1] ، والقرطبي أبو عبد الله مُحَمَّد ،صاحب الجامع لأحكام القرآن ، ت671 هـ.[2] ، وفي مجال الطب والفلسفة : ابن زهر أبوبكر مُحَمَّد عبد الملك ـ أشهر أطباء الأندلس ت 595هـ.[3] ، وابن طفيل أبو بكر أحمد581هـ[4] ، وفي الدراسات اللغوية والنحوية : ابن مضاء أبو العباس أحمد ت 593 هـ [5] ، وابن عصفور أبو الحسن علي 662هـ [6] وفي التاريخ والتراجم : المراكشي عبد الواحد بن علي صاحب المعجب ، ت647هـ [7] ، ابن الأبار القضاعي أبوعبد الله مُحَمَّد ، ت 658هـ[8] ، أبو المطرف بن عميرة أحمد بن عبد الله، ت 658هـ[9] ، وابن سعيد علي بن موسى، صاحب كتاب المغرب، ت 685هـ[10] ، ومن شعراء وأدباء هذه الفترة : ابن حبوس أبو عبد الله مُحَمَّد ت 570هـ [11] ، والتطيلي أبوبكر يحي ت 629 هـ [12] ،غيرهم كثير .

في هذا المناخ المشبع بالثقافات ،المترع بالمعارف والعلوم ،ولد وترعرع ابن الجنان في مدينة مرسيه ، ولم تحدد المصادر تاريخ ولادته ، وقيل إنه ولد سنة 610 هـ[13] ، ثم رحل عنها عندما اشتد عليها ضغط الإسبان سنة640هـ ، واستقر بأريولة شرق الأندلس ، على ضفة النهر الأبيض [14].

نشأ في مدينته نشأة علمية؛ حيث تتلمذ على نخبة من علماء عصره ، فحفظ القرآن الكريم وتعلّم أحكامه وعلومه ،ودرس الحديث والعلوم الأخرى ، هكذا كانت التقاليد العلمية في الأندلس حيث "كان التعليم يتم في المساجد ومكاتب المؤدبين والقصور والبيوت عن طريق التلقين والاستماع ولا سيما في حفظ القرآن الكريم الذي كان من أوليات التعلم ، فضلا عن الاستماع إلى الشعر وتحفيظ النماذج المختارة من عيون القصائد العربية " [15] ، لقد كان التعليم أهم ركائز الحضارة الإسلامية في الأندلس ، يقول المستشرق الهولندي دوزي: " إن كل فرد في الأندلس كان يعرف الكتابة والقراءة " [16].

وأثنى عليه المترجمون له من المتقدمين والمتأخرين ، فقيل عنه : "الفقيه الجليل الخطيب الكاتب البارع الأديب ... من أهل الدراية والحفظ والإتقان وجودة الخط وحسن الضبط "[17] ، ووصف بأنه كان :"محدثا راوية ضابطا ،كاتبا بليغا شاعرا بارعا ، رائق الخط ، دينا

---

[1] ابن الأبار .التكملة لكتاب الصلة . الترجمة رقم : 1920 . المقري .نفح الطيب 3 / 180

[2] ابن فرحون . الديباج المذهب 407 ، المقري . نفح الطيب 2 / 210

[3] ابن الأبار .التكملة لكتاب الصلة الترجمة رقم 1691. المقري . نفح الطيب 2 / 247

[4] المراكشي. محيي الدين. المعجب 69 ، الزركلي .الأعلام 6 / 249

[5] ابن فرحون . الديباج المذهب 1/ 210 ، ابن الأبار. التكملة لكتاب الصلة رقم 234

[6] المقري . نفح الطيب 7 / 280 ، المراكشي ابن عبد الملك . الذيل والتكملة /348

[7] الزركلي. الأعلام 4 / 176

[8] الغبريني . عنوان الدراية 309 ، الزركلي. الأعلام 6/ 233

[9] ابن الخطيب. الإحاطة 179/1 ، ابن القاضي . جذوة الاقتباس 145/1

[10] ابن الخطيب. الإحاطة 4/ 129 ، الزركلي . الأعلام 5/ 26

[11] المراكشي محي الدين . المعجب 156 ، الزركلي . الأعلام 6/ 101

[12] ابن سعيد . المغرب في حلي المغرب 2 / 450 ، ابن الخطيب .الإحاطة / 4 / 357

[13] ابن المرابط .زواهر الفكر . هامش 1 / 42

[14] الإدريسي . نزهة الألباب . 557 ، 558

[15] توفيق عمر . طرائق التناص في الشعر الأندلسي . مجلة جامعة تكريت 171

[16] م . س ، ص . ن

[17] الغبريني . عنوان الدراية 349

فاضلا ، خيرا زكيا... لطيف الشمائل وقورا "[18] ،وحقق مكانة رفيعة وشهرة واسعة بين معاصريه ، وكان بينه وبين كتاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته " بما يعجز عنه الكثير من الفصحاء ولا يصل إليه إلا القليل من البلغاء ".[19] استكتبه بعض أمراء الأندلس ، ونال حظوة عند أبي علي بن خلاص والي سبته الذي تولى حكم سبتة عام 637هـ و توفي عام 646هـ.[20] ،ثم رحل إلى بجاية ، وتوفي بها ، واختلف في تاريخ وفاته ، ورد في الإحاطة أنه توفي سنة 650هـ .[21] . ولم يعثر له على ديوان شعر متكامل بالرغم من أشعاره الكثيرة وشهرته الواسعة ، وقد وفق د. منجد مصطفى بهجت في جمع مادة شعرية كبيرة ،رتبها حسب الحروف الهجائية في ديوان مستقل ، حققه وصدره بدراسة وافية ، وألحقها بفهارس للقصائد والأعلام . معتمدا على مصادر أندلسية مهمة ، ويعد هذا الديوان مصدرا مهما للباحثين في شعره .

تناولت المادة الشعرية التي ضمها الديوان عددا من الأغراض، ووردت في محاور أربعة : الإلهيات ، النبويات ، والإخوانيات والمراجعات ، والمراثي.

لقد حمل ابن الجيان لوائي الشعر والنثر، وشهد له النقاد بالبراعة في كليهما ، ويرى المتتبعون لشعره أنه يدلل على تمكنه من أدواته الشعرية ،ويشي بشاعرية متدفقة وشاعر مطبوع [22] ، ويتميز شعره،" بسلامة اللغة وقوة الأسلوب وجمال الصياغة وعدم التكلف" [23]، وورد معظم شعره في مدح الرسول ﷺ ،حتى لقب بشاعر المديح النبوي في القرن السابع الهجري.[24]

المبحث الأول : التناص في الفكر النقدي:

– أولا : تعريفاته وآلياته:

هو مصطلح مأخوذ من : " نص المتاع نصا : جعل بعضه على بعض "[25] وجاء بمعنى الازدحام؛ فتناص القوم إذ ازدحموا [26] ":

نَصَّ الحَدِيثَ يَنُصُّه نَصّاً : رَفَعَهُ أو أسنده . ونصصت الحديث إذا عزوته إلى محدثك به " [27]

أما المعاجم العربية الحديثة فقد ورد ": تناص القوم : ازدحموا ."[28]

وبالنظر إلى المعنى الذي تعرضه التعريفات السابقة يلاحظ أنها يمكن أن تؤدي دلالات متعددة منها : " الازدحام والتلاقي والتشارك والتفاعل بين الأشياء في مكان معين "[29] ، وهذا المفهوم يؤدي دلالة " قريبة بعض الشيء من المفهوم الاصطلاحي ، فالتناص هو تلاقي دلالات عدد من النصوص اللاحقة وتداخلها وتفاعلها في فضاء نص معين سابق ، فكأنها طبقات متراصة من المعاني والدلالات تشبه طبقات الأرض ،كلما حفرت فيها اكتشفت شيئا جديدا " [30]

إن أقرب تعريفات هذا المصطلح التي يمكن أن تنطلق منها الكتابة حول الموضوع هو أن التناص يعني : " أن يتضمن نص أدبي ما نصوصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ماشابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب

---

[18] ابن الخطيب . الإحاطة 2 / 333

[19] الغبريني .عنوان الدراية 349

[20] ابن عذارى .البيان المغرب 3/ 512

[21] ابن الخطيب . الإحاطة 2/ 359

[22] الديوان 50

[23] القرارعة سالم عبيد . ظاهرة التكرار في شعر ابن الجنان 336

[24] بهجت منجد . الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة 212

[25] ابن منظور . لسان العرب . نصص

[26] الزبيدي . تاج العروس . نص

[27] ابن دريد .جمهرة اللغة . نصص

[28] المعجم الوسيط . نص

[29] عدنان أحمد . التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج في دراسة المتنبي 9

[30] م . س . ص . ن

بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل "[31] وهذا يعني أن " الذاكرة أو المقروء الثقافي أو الحضور التاريخي كلها مصادر كامنة في ذهن أو في وعي الأديب ، تسهم تناصيا في تشكيل النص الجديد "[32]

وبالرغم من أن مصطلح(التناص) من المفردات التي ترجمت إلى الثقافة العربية بمصطلحات متعددة " ما بين: تداخل النصوص والتناصية والنصوصية والبينصوص وتفاعل النصوص والنص الغائب والتناص..." [33] ؛فقد غلب إطلاق مصطلح التناص " لسهولته في النطق وايجازه خلافا لغيره من المصطلحات التي تتألف في الغالب من كلمتين " [34] ، كما أن صيغته الصرفية المشتقة من الفعل الثلاثي تفيد " المشاركة بين اثنين فصاعدا " [35] ،فيكون "كل منهما فاعلا في اللفظ مفعولا في المعنى " [36]

ويرى النقاد والباحثون أن التناص بأنماطه المختلفة "سمة من سمات اللغة الأدبية ، ومعيار نقدي مهم يكشف عن مواطن الإبداع والابتداع في التجربة الشعرية"[37] ،وهو المفاهيم النقدية التي تندرج ضمن الإنتاجية النصية التي تهتم بالكيفية التي يتم بها انتاج النصوص، حيث تقوم العلاقة بين النص الحاضر والنصوص الغائبة على ثلاثة مبادئ أساسية هي النفي و التضافر و الحوار .[38]

وتكمن صعوبة التناص في أمور متعددة منها :

إنه "يتشكل في إطار شبكة معقدة ومتواشجة من البنى الثقافية والمصادر المعرفية والرموز الحضارية،" [39] ، كما أنه يشكل " ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين ؛ إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح ، على أن هناك مؤشرات تجعل التناص يكشف عن نفسه ويوجه القارئ للإمساك به " [40]؛ ولذلك فإن القارئ المتلقي يحتاج إلى امتلاك كثير من المقومات الثقافية والأدبية لتحقيق التفاعل بين الطرفين – المرسل والمتلقي - ، وإن نجاح العملية التواصلية بينهما يتطلب : "وجود ميثاق وقسطاً مشتركاً بينهما من التقاليد الأدبية ، ومن المعاني "[41] ، ومن شأن هذه المقومات أن تؤهل المتلقي للوصول "إلى تلك العناصر الثقافية والأبعاد المعرفية دون عناء"[42] .

ثانيا : مساراته ووظائفه :

يحتل التناص مكانة بارزة في كتابات النقاد المحدثين ،فقد تبلورت مفاهيمه في ستينيات القرن الماضي على يد الباحثة الفرنسية ، البلغارية الأصل جوليا كرستيفا) حيث قامت بـ " اشتقاق المصطلح والترويج له من خلال مقالتين صدرتا في مجلة تيل كيل (Tel – Quel) ومجلة كريتيك Critique)" وقد استفادت من الدراسات النقدية السابقة التي قدمها كثير من النقاد والباحثين ؛ منها دراسات الناقد الروسي باختين حول تعالق النصوص التي قدمها في بداية القرن العشرين ، والعالم اللغوي فرناند دي سوسير في علم اللسانيات، وما كتبه الشكلانيون الروس أمثال بوريس وجاكبسون وغيرهم[43] ، ومنذ ذلك الوقت والكتابات تتفاعل وتكتسب وجوها جديدة ومختلفة ومتشعبة .

ولكن أغلب النقاد والباحثين في مجال النقد الحديث يرون أن "مفهوم التناص ليس جديدا تماما في الدراسات النقدية المعاصرة ... وانما هو موضوع له جذوره في الدراسات النقدية شرقا وغربا بتسميات ومصطلحات أخرى ، فالاقتباس والتضمين والاستشهاد والقرينة والتشبيه والمجاز والمعنى ، وما شابه ذلك في النقد العربي القديم هي مسائل أو مصطلحات تدخل ضمن مفهوم التناص في صورته

---

[31] الزعبي أحمد . التناص نظريا وتطبيقيا 11

[32] م . س . 18

[33] عدنان أحمد . التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج في دراسة المتنبي 8

[34] م . س . ص . ن

[35] النايلة عبد الجبار . الصرف الواضح 106

[36] الحملاوي احمد .شذا العرف في فن الصرف 34

[37] أبوعبيلة آيات .التناص الشعري في شعر ابن زمرك الأندلسي 403

[38] عدنان أحمد . التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج في دراسة المتنبي 18

[39] أبوعبيلة آيات .التناص الشعري في شعر ابن زمرك 45

[40] مفتاح محمد . تحليل الخطاب الشعري 131

[41] مفتاح محمد . تحليل الخطاب الشعري 135

[42] أبوعبيلة آيات .التناص الشعري في شعر ابن زمرك 405

[43] عبد الله أحمد . التناص الديني في ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين لابن جابر الأندلسي . مجلة كلية المعارف الجامعية 123- 125

الحديثة"[44] ، وقد وردت إشارات في المؤلفات النقدية العربية وتعريفات قريبة من التناص بمفهومة الحديث، وجاء - مثلا - في تعريف الاقتباس " أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث "[45] ، وفي تعريف التضمين " أن يضمن الشعر شيئا من شعر الآخرين "[46]،كما وردت في كتاب العمدة تفصيلات متعددة لمصطلحات نقدية متفرعة عن باب السرقات الشعرية [47] ، وفي أسرار البلاغة اضافات أخرى في باب السرقات فيها توسيع لدائرة الأخذ [48]،وكذلك هو الحال في المصطلحات التي ذكرها النقاد الغربيون القدماء و" أشار إليها ارسطو في (فن الشعر) ... ، كمصطلح المحاماة والاستعارة وتوظيف الأسطورة والتخييل والتضمين وما شابه ذلك ، فإنها أيضا مصطلحات تدخل ضمن مفهوم التناص في الدراسات الحديثة "[49]

ولقد اتاحت الدراسات النقدية الحديثة لنقاد الحداثة وللباحثين والدارسين حول التداخل بين النصوص فرصة لإعادة النظر في مفاهيم أدبية معروفة ،ثم تشعبت وتعمقت وأضافت عناصر جديدة وموضوعات كثيرة ، كما سلطت الأضواء على الكاتب والقارئ بصفتها شريكان في عملية التواصل" لكون النص يتفاعل مع نصوص سابقة ومعاصرة يحيل إليها وهي نصوص مخزونة ومتفاعلة في ذاكرة القارئ التي يستذكرها فيبحث عن دلالاتها وابعادها في النص المقروء"[50] .

وقد أسهم النقاد والدارسون العرب المعاصرون في هذه الحركة النقدية الحديثة ، وحاولوا تتبع تداخل النصوص وتفاعلها أو ما عرف بـ مصطلح التناص ؛ " فوجدوا أن ثمة مصطلحات كثيرة تقترب منه وتلامسه، أو تندرج تحته كمصطلح الاقتباس، والتضمين، والاستشهاد، والمعارضة، والموازنة، والسرقة الأدبية، والاستدعاء، والإحالة، والتلميح، والتوارد، والمحاكاة اللفظية، والنقائض، وغيرها" "[51] ، وكانت مؤلفات مُحَمَّد مفتاح وجابر عصفور ومُحَمَّد المسدي وسعيد يقطين والغذامي وغيرهم ،ولكن هذه الإسهامات تبقى جهود فردية كانت صدى لمناهج ونظريات نقدية نشأت خارج الإطار الفكري والحضاري العربي ، ومازالت الحاجة ماسة إلى تكثيف الجهود لتعميق الرؤية النقدية العربية بالاطلاع على نتائج البحوث النقدية المعاصرة والاستفادة منها في تحديث الآليات و توجيهها ، وإحداث تراكم معرفي نقدي بعيدا عن التهويل الانبهار بهدف فرض قيم نقدية جديدة[52] توافق الخصوصيات وتنسجم مع الثوابت وتتوافق مع المعتقدات ، والعودة إلى التراث العربي ودراسته بآليات حديثة وأساليب متطورة .

ثالثا : وظائف التناص : على مستوى تعالق النصوص فيما بينها وتداخلها يمكن رصد عدة وظائف للتناص :

1-**الوظيفة الإبداعية** : ثمة من يجعل التناص فلسفة ؛وبالتالي فهي تسري على الوجود كله " بوصفه طاقة فوق طبيعية (ميتافيزيقية) ، أي ايجاد الشيء من لاشيء ... أو إن الكون كله يقع في تناص كما يحاول عدد من المفكرين فلسفة هذ المفهوم " [53]، وفي هذا التفسير مبالغة ، لذلك سوف ننظر إلى هذه الوظيفة على مستوى التناص الأدبي ؛ أي باعتبار أن التناص ظاهرة أدبية فقط ، وليست ظاهرة فلسفية أو كونية[54](إنه " أداة تعبيرية ورؤية إبداعية وفعالية إجرائية وآلية إنتاجية وخاصية بنائية قائمة في أساسها على تعايش النصوص وتعالقها ضمن فعالية فنية وحساسية شعرية قادرة على التداخل مع الآخر والتفاعل معه" [55] . وبناء على ذلك فإن مظاهر الإبداع في التناص الأدبي " تكمن في وضع الشاعر نصه أمام تحد كبير يواجه به سياقات النصوص السابقة الموروثة والمعاصرة ، فإن استطاع

---

[44] الزعبي أحمد . التناص نظريا وتطبيقيا 19

[45] القزويني الخطيب . تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع 217

[46] م . س ، ص . ن

[47] ابن رشيق القيرواني . العمدة في محاسن الشعر وآدابه . 1037

[48] الجرجاني عبد القاهر .أسرار البلاغة 338

[49] الزعبي أحمد . التناص نظريا وتطبيقيا 19

[50] عدنان أحمد . التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج في دراسة المتنبي . 24

[51] أبوعبيلة آيات .التناص الشعري في شعر ابن زمرك 404

[52] يقطين سعيد . دراج فيصل . آفاق نقد عربي معاصر 142 ، 147 ، 149

[53] عدنان أحمد . التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج في دراسة المتنبي 22

[54] م . س ، ص . ن .

[55] البنداري ، صرصور ، ثابت .التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر 244

تجاوزها بعد تمثلها وقلت التشاكلات والمقومات السياقية بين الطرفين زادت فرادة الخطاب الجديد وظهرت أصالته وإبداعه ، وإن كثرت المقومات السياقية المشتركة بينهما أصبح النص اللاحق فاقد لأصالته وإبداعه مألوفا لمتلقيه "[56]

2- **الوظيفة الشعرية** : الشعرية تعني " الأثر الجمالي لتفاعل عناصر الخطاب اللغوي في ارقى مستوياته الاسلوبية وتقنياته التعبيرية التي تؤلف ـ في مجموعها- الوظيفة الجمالية للخطاب الشعري "[57] ومهمة التناص تكمن في أنه " يعمل على انتاج دلالة النص ، ويجعله متعدد القيم لا أحادي القيمة "[58] ، وبالتالي فإن "النص الذي لايحتوي على الظواهر التناصية هو نص عقيم بلا ظل" [59] ، ولكن جمالية التناص وفقا لهذا التصور لاتتجسد " بمجرد حشد المتناصات المتألفة أو المتخالفة ومجاورة المسائل والمعارف ورصفها داخل العمل بشكل عشوائي ؛ لأنها فنية نابعة من تجربة المبدع يتم بموجبها استدعاء المتناصات التي تمثل رافدا قويا من روافد التجربة الشعرية وصياغتها داخل أنساق تعبيرية منسربة في بنية النص ومتلاحمة مع جزئياته "[60] ، ولذلك فإنها تسهم في إنتاج دلالات جديدة، وتعمل على تكثيف التجربة، وتعميق الموقف الشعوريّ، وهذه الأنظمة المتفاعلة هي ما " سيجعل النص متنوع القيم والايحاءات والتداعيات ومتعدد المعاني ، وهذه هي استراتيجية الشعرية " [61] .

3- **الوظائف النقدية** : لقد استخدم التناص وفقا للتفكير البنيوي ليكون وسيلة لتفكيك الأفكار المسلم بها في العمل الأدبي لأنه يشكل " كياناً وبنية مستقلةً ومنغلقةً على ذاتها حاملة لمعنى واحد ، و لا تحيل على شيء خارج النص إلا على مرجعيتها النصية الذاتية" [62] ، ومن شأن التداخل النصي أن يمكن " المبدع من كسر حدة انغلاق اللغة على ذاتها بتقاطعها على مدارات دلالية وانفتاحها على حمولات ثقافية تنهض بلغة النص وتكسبها ظلالا إيحائية وطاقات دلالية وآفاقا جمالية عميقة " [63] ، وإن النص الأدبي الواحد عادة ماتلتقي فيه" نصوص متنوعة، وثقافاتٌ مختلفة، تتحاو رُ وتتداخل مع بعضها البعض، لتشكل نصًا يضم أصواتا متعددة، يمكن تمييزها وتلمسها عبر تقنية التناص" [64] ومن وظائفه النقدية أيضا أنه يستخدم لنقد " دراسات المصادر ودراسة التأثير والتأ ثر الفعلي المتحقق والمثبت تاريخياً ، والاهتمام بالكاتب والقارئ معا لكون النص يتفاعل مع نصوص سابقة ومعاصرة يحيل إليها،وهي نصوص مخزونة ومتفاعلة في ذاكرة الكاتب الذي تمثلها وأعاد إنتاجها وإبداعها في نصه الجديد، ومخزونة في ذاكرة القارئ التي يستذكرها فيبحث عن دلالاتها وأبعادها في النص المقروء" [65] ،وأن يكون للمقروء الثقافي والتاريخي حضور واضح في النص الجديد تصريحا أو تلميحا لايعني أن النص الأدبي لايعدو عن كونه مجموعة من النصوص السابقة المحتشدة دونما نظام، ولكن تقانة التناص لا تتحقق إلا إذا استدعت " حاجة النص إلى وجودها وانسجامها مع تجربة المبدع وقدرتها على التفاعل مع مكونات النص والايحاء بانفعالات المبدع ورؤاه " [66] .

إن ثمة من ينظر للتناص على أنه نظرية أدبية نقدية متكاملة " لها مفاهيمها وتصوراتها ومصطلحاتها وأقسامها ودرجاتها التعالقية وآلياتها النصية ووظائفها" [67]

ويدور مجال عملها حول العمل الأدبي ومكوناته بشكل عام وتختص وظيفتها " بالتكوين المعرفي والأدبي للمبدع والمتلقي وتهتم بالنص كذلك أركان العملية الإبداعية" [68] ، وهناك من يرى أن التناص " مفهوم شمولي يصف ظاهرة تلاقي النصوص وتفاعلها بأجناسها المختلفة أو

---

[56] عدنان أحمد . التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج في دراسة المتنبي 22

[57] حسين مسلم حسب .الشعرية العربية أصولها ومفاهيمها واتجاهاتها 15

[58] عدنان أحمد . التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج في دراسة المتنبي 23

[59] م . س ، ص . ن

[60] البنداري ، صرصور ، ثابت . التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر 244

[61] عدنان أحمد . التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج في دراسة المتنبي 24

[62] م . س ، ص . ن

[63] البنداري ، صرصور ، ثابت . التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر 244

[64] عبد الله أحمد . التناص الديني في ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين لابن جابر الأندلسي . مجلة كلية المعارف الجامعية 122

[65] عدنان أحمد . التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج في دراسة المتنبي 24

[66] البنداري ، صرصور ، ثابت . التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر 245

[67] عدنان أحمد . التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج في دراسة المتنبي 24

[68] م . س ، ص . ن

استعمال نص لنص آخر أو تعالي النص على ذاته وتعالقه مع نصوص أخرى جاء ليبحث عن وظائف ذلك التشابك والتعالق بين الأنظمة الدلالية المختلفة "[69]

وفي كلا الحالين، ومع اختلاف التسميات والمصطلحات ووجهات النظر ؛فإن هذا المجال البحثي -كغيره من المعارف الإنسانية - مازال يتعرض لكثير من المراجعات والإضافات والتنقيحات في سبيل بلورته و" تحديده وترسيخ أبعاده وملامحه وسماته "[70] ، وسوف تستمر الحركة النقدية الحديثة في تكثيف الجهود من أجل " الاستفادة من هذا المصطلح لتعميق الرؤية النقدية عند تناول النص الأدبي " [71] ، و في كل مرحلة من مراحل التحول تحقق تراكمات كمية ونوعية ، وتجدد نفسها بشكل دائم ومستمر[72]، وسوف تواصل " البحث عن قيم نقدية جديدة ومعايير وآفاق ومصطلحات أكثر حداثة وجدة "[73] .

المبحث الثاني :التناص في شعر ابن الجنان : لقي التراث الأدبي العربي القديم اهتماما واسعا من طرف الدارسين المحدثين والنقاد ، وإن الباحث في مضامين شعر ابن الجيان يلاحظ أن الثقافة التراثية بكل مكوناتها كانت رافدا خصبا لشعره، ويسري ذلك على توجهات الشعراء والمبدعين في كل العصور في العودة إلى منابع الثقافة العربية ، حيث يعد التراث الأدبي حافزا قويا للإبداع ، وهو بالنسبة لهم " الينبوع الدائم التفجر بأصل القيم وانصعها وأبقاها ، والأرض الصلبة التي يقف عليها" [74]

لقد نظم الشاعر في أغلب أغراض الشعر العربي المعروفة " باستثناء الموضوعات التي باينت سلوكه الديني، وسيرته القديمة، اللذين نشأ عليهما، وعُرف بهما، إذ انعكست مبادئه على أشعاره، فعزف عن النظم في هجر القول وباطله، وضرب صفحاً عن موضوعات الشعر المنحرفة عن جادّة الصواب ..كالغزل الماجن والهجاء"[75]

و**جاءت** موضوعاته الشعرية موزعة في أربعة محاور ، شعر الإلهيات، والنبويات، وشعر الإخوانيات والمراجعات، وشعر الرثاء،

أولا : التناص الديني :

1- **الاقتباس من القرآن الكريم :**الاقتباس صورة من صور التناص و" هو أن يضمن المبدع نصه كلمة من آية أو آية من آيات القرآن الكريم أو شيئاً من الحديث النبوي الشريف"[76] .

ويشكل استحضار النصوص القرآنية في البناء الشعري قيمة سامية مضافة للعمل الإبداعي ، لأن النص القرآني يعد " مصدراً غنيا للتناص وللإلهام الشعري على مستوى الدلالة والرؤية "[77]

ويأتي استيحاء النص القرآني " إما لترسيخ فكرة ، أو لتقوية حجة ، أو لتزيين أسلوب "[78] ، ويكون التناص القرآني " عن طريق الاقتباس الحرفي أو الإشاري لبعض ألفاظه وآياته وصوره ومعانيه ،أو عن طريق استدعاء الشخصيات الدينية، أو استيحاء القصص القرآني " [79] ، والملاحظ أن استحضار ابن الجيان للنص القرآني يظهر في صورتين :

الأولى : اقتباس ألفاظ بنصها القرآني ، وبتركيبها وبنائها : ومن نماذجه قول الشاعر من قصيده له في الإلهيات :[80]

ألم يعد الله الكريم بفضله مع اليسر يسرا ينجح السعي والقصدا

استحضر الشاعر النص القرآني ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾ الشرح/5 - 6

---

[69] م . س ، .25 ، 26

[70] الزعبي أحمد . التناص نظريا وتطبيقيا 15

[71] م . س ، . 20

[72] يقطين سعيد . دراج فيصل . آفاق نقد عربي معاصر 41

[73] الزعبي أحمد . التناص نظريا وتطبيقيا 20

[74] زايد علي عشري .استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر 7

[75] مقدمة الديوان 19

[76] طبانة بدوي . معجم البلاغة العربية . 1 / 675 ، 677

[77] سلمي علي . طهاسي عبد الصاحب . التناص القرآني في الشعر العراقي . . مجلة اضاءات نقدية . السنة الثانية ـ العدد السادس 83

[78] عبد الله أحمد . التناص الديني في ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين لابن جابر الأندلسي . مجلة كلية المعارف الجامعية 126

[79] الياسين ابراهيم . تجليات التناص في الرسالة الجدية لابن زيدون ، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، ، المجلد 42 العدد 3 ، 819

[80] الديوان 79

واقتبس اللفظ القرآني (مع اليسر يسرا) بنصه وتركيبه ، فجعله في نسيج البيت ،محتفظا بدلالته وسياقه في تأكيد وعد الله باليسر بعد اليسر .

وفي قصيدته في المديح النبوي التي يلتزم فيها بالسلام في صدر كل بيت يقول: [81]

سلام على التالي لصاحبه به وقد قيل: " لاتحزن " فصين وأيدا

يستحضر قوله تعالى : ﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ التوبة / من الآية 40

تم اقتباس بنصه وتركيبه وبنائه في جملة (لاتحزن) وكلمة (لصاحبه) وتعديل تركيبة البيت وبعض المفردات بما يوافق النسيج الشعري ، مع الاحتفاظ بتوافق الدلالات الخاصة بذكر مناقبه ودلائل نبوته ﷺ ، وهو المحفوف برعاية ربه المصون بحفظه المدعم بنصره .

الثانية : الاقتباس الإشاري أو الإيحائي : ويعني أن يضمن النص الشعري آية قرآنية دون الالتزام بنصها وتركيبها ، فيشير بكلمات أو بكلمة في بناء مختلف لتؤدي وظيفه ما في سياق جديد منسجم مع النسيج العام للقصيدة ، وتشكل جميعها عناصر منسجمة في البناء العام بحيث يتبلور النص في صورة جديدة ويتشكل وفقا للسياق العامة للنظم.

وأكثر ما يتجلى هذا النوع من الاقتباس في قصيدة المديح النبوي عند ابن الجنان ، وهو في هذا التوجه " يمضي على منهج شعراء الأندلس في هذا المجال "[82].

ومن ذلك قوله : [83]

صلوا على هذا النبيّ فإنه من لمْ يزلْ بالمؤمنينَ رحيما

لم يتضمن هذا البيت تناصا صريحا ، ولكن ثمة إحالات تشير الي النص القرآني : وهي : كلمة " بالمؤمنين " وكلمة " رحيما " ،كما تؤكده الإشارة الضمنية ؛ وهي الحديث في سياق الثناء على رسول الله ﷺ ، حيث تستحضر الذاكرة قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ التوبة /129 ، وأغلب ما ورد من التناص القرآني عند ابن الجنان كان على هذه الشاكلة .

و قوله أيضا : [84]

أحيا البلاد وأرواها برحمته فاهتز هامدها من بهجة وربا

والبيت ضمن مقطوعة ارتجلها في ستة أبيات ،عقب نزول المطر بأوريولة، زمن قحط أصاب المدينة، بناء على طلب من صديقه ابن المرابط صاحب زواهر الفكر، وهو البيت الأخير في المقطوعة، فالإشارات اللفظية: اهتز ، هامدها ، ربا ، بهجة ، والسياق الفكري والموضوعي كلها تنسجم مع مضمون الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى:﴿ **وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾ الحج / من الآية 5

ومن الاقتباس أيضا قوله:[85]

فضلا من الله أولانا الجميل به فانظر لآثار رحماه ترى عجبا

وهذا البيت ورد في المقطوعة نفسها، وتعالق مع دلالات الآية الكريمة في قوله تعالى :

﴿ **فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ **. الروم / 49**

---

[81] الديوان 91

[82] مقدمة الديوان 51

[83] الديوان 148

[84] الديوان 73

[85] (الديوان 73

حيث تم استحضار النصين الكريمين في مقام التنبيه إلى آثار رحمة الله في الأرض بنزول الغيث ، واستمد من المعجم القرآني بعض الألفاظ بنصها ، وبعضها بتحوير يناسب سياق التركيب الشعري : (فانظر) ،(آثار)، (رحماه)، ويستهدف بذلك إحداث حيوية في أداء الفكرة والتأثير بها ،و تكثيف مضمون دلالات البيت .

وفي قصيدة في المديح النبوي يقول فيها:[86] (المجتث)

أعزز به من رسول سمت علا درجاته
وخصه الله منه بالفضل من تكرماته
لما حباه بأوفى صلاته في صلاته

يستحضر في هذه الأبيات قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ **الأحزاب / 56**

والأبيات تشير إلى النص القرآني في سياق الحديث عن مقامه ﷺ عند ربه ، والأمر الإلهي للمؤمنين بالصلاة عليه ﷺ في سياق متطابق في الدلالة ، وقد منحت الاستعانة بالنص القرآني قوة في نسج الأسلوب في السياق الشعري، كما خلعت علية كثيرا من التكثيف في المضامين والايحاءات .

وضمن قصيدة له في الحج جاء هذا البيت :[87](الطويل)

فوا حربا لاح الصباح لمبصر وقلبي لم يبصر سوى الليل إذ سجا

يشير إلى قوله تعالى : ﴿ **وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ** ﴾. الضحى / 1. 2 ، وقد ورد التناص في البيت بتحويرفي السياق وتحويل في الدلالة تماما، فالمخاطب بالقسم في النص القرآني في سورة الضحي هو رسول الله ﷺ، ودلالة السياق تقرير مكانته ﷺ عند ربه وبيان لطفه – سبحانه- وعنايته به ، وموضوع النص الشعري هو الحديث عن وصف رحلة الحجيج وما خلفه رحيلهم في نفس الشاعر من تحسر وألم وشوق لزيارة الأماكن المقدسة ، حيث يختتم قصيدته واصفا معاناته ومحملا سلامه لرسول الله ﷺ بقوله : [88](الطويل) .

عليه سلام الله من ذي صبابة حليف شجا يكنى من البعد ناشجا
ولو انصفت أجفانه حق وجده سفكن دماء للدموع موازجا .

وأما في تركيب البيت فقد استمد من المعجم القرآني لفظة (الليل) و (سجا) وحور في(إذا) للمحافظة على الوزن .

ويقول في قصيدته الدالية في المديح النبوي:[89] (الطويل)

سلام على المعروف في الكتب نعته ولكن اهل الكفر اخفوه حسدا

والبيت يستمد دلالاته من النص القرآني في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ الاعراف/157

فمحور الحديث في الآيات الكريمة هو رسول الله ﷺ ، النبي الأمي المنتظر المعروف في الكتب السماوية السابقة بصفاته السنية ومناقبه العلية ، وهو الممدوح في البيت الشعري ، وثمة توافق في الدلالة ،و أدى استحضار النص الكريم في التجربة الشعرية إلى الاستئناس بالطاقات اللامتناهية في النص القرآني في توكيد الفكرة وتعزيز الدلالات واثراء المشاعر.

وفي قوله في القصيدة ذاتها :[90]

سلام على المرفوع في الذكر ذكره لتتلى له الأمداح فيه وتسردا

---

[86] الديوان 74
[87] الديوان 77
[88] الديوان 77
[89] الديوان 85
[90] الديوان 85

يشير البيت إلى سمو مكانته ﷺ عند ربه ،وقد ضمن الشاعر بعض الفاظ النص القرآني ، ويفهم من ذكر اسم المفعول " المرفوع " والمصدر في كلمة " ذكره " أن في البيت تناصا غير مباشر مع النص القرآني : ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ . الشرح / 4، ويلاحظ تحوير في المفردات، وتوافق في الدلالة ، وجاء هذا التناص لإثراء لغة النص ،وتعزير فكرة الشاعر في التعبير عن علو قدره ﷺ .

وقوله من قصيدة المديح النبوي نفسها التي تضمنت إشارات كثيرة إلى مناقبه ودلائل نبوته ﷺقبل البعثة وبعدها : [91]

سلام على الموصوف بالخلق الذي بتعظيمه زين الثناء ومجدا

يشير إلى قوله تعالى في تزكية خلقه ﷺ : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ القلم / 4 ، وثمة مطابقة في الدلالة؛ فكلاهما ورد في سياق الثناء عليه والإشادة بعظيم خلقه ﷺ ،ولكن التحوير اقتصر على المفردات والتراكيب والسياق، وأفاد التناص تعميق دلالة النص ،وإثراء لغته وتوسيع إيحاءاته .

وقوله في القصيدة نفسها : [92]

سلام على من كلف العرب سورة تشابهه نظما فكل تبلدا

وردت الإشارة في مواضع من القرآن الكريم إلى مدلول البيت ؛وهو تحدي المشركين على أن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن ، وعجزهم عن ذلك ، منها قوله تعالى : ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (22) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ البقرة 23/22 ، وقوله عز وجل : ﴿ **لا يأتون بمثله**﴾ الإسراء : من الآية 88

لقد عملت الإشارات الواردة في النص الشعري على مساعدة القارئ على معرفة النص القرآني المقصود ، من خلال بعض المفردات ، وهي : كلف ، سورة ، تشابهه ، تبدا ، فكانت هذه المفردات بمثابة دوال .

وفي قوله أيضا :[93]

سلام على من جاءت الجن خضعا له إذ رأت افق السماء مرصدا

يحيلنا إلى قوله تعالى : ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا** ﴾. الجن / 1

وقوله جل وعلا:﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ** ﴾ الأحقاف/ 28

ودلالات البيت تزاوج بين ماورد في الآيات الكريمة وماورد في السنة النبوية بهذا الشأن، وثمة تعالق نصي بين قول الشاعر : رأت أفق السماء مرصدا ، و ماورد في صحيح البخاري[94] ، ومسلم[95] ، قال (انْطَلَقَ النبيُّ ﷺ في طَائِفَةٍ مِن أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إلى سُوقِ عُكَاظٍ، وقدْ حِيلَ بيْنَ الشَّيَاطِينِ وبيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وأُرْسِلَتْ عليهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إلى قَوْمِهِمْ، فَقالوا: ما لَكُمْ؟ فَقالوا: حِيلَ بيْنَنَا وبيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ،....)

وقوله في القصيدة نفسها : [96]

سلام على المبعوث للناس رحمة لينقذ من مهوى الردى من توردا

يستمد دلالات نصه من الآية الكريمة : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ .الانبياء /106

ويبدو تفاعل الشاعر مع النص القرآني، حيث استعار منه بعض مفرداته التي أدت إلى أن يهتدي بها القارئ لاكتشاف النص الآخر ، ومع التقائهما في دلالات الرحمة والهداية ، فقد عمل استحضار النص الكريم على إثراء التجربة الشعرية، وبث الحيوية في التركيبة الأسلوبية للبيت

---

[91] الديوان 85
[92] الديوان 86
[93] الديوان 86
[94] ح 773
[95] ح 449
[96] الديوان 86

ويتجلى التناص في قوله أيضا :[97]

سلام على من أظهر الله صدقه وشق له البدر المنير ليشهدا

حيث يشير البيت إلى ، قوله تعالى : ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ . القمر /1 ، ومعجزة انشقاق القمر له ﷺ من الآيات الثابتة ،أوردها البخاري [98] ، ومسلم [99] ، وقد جاءت تأييدا لدعوته وتأكيدا لصدقه ﷺ ، ومع التوافق في الدلالات ؛فقد أدى استحضار النص الكريم إلى تعميق الرؤية الشعرية والسمو بلغة النص.

وفي قصيدة له في لزوم مالا يلزم التزم فيها الراء قبل حرف القافية يقول :[100] (الطويل)

وديني بتقوى الله يجعلْ بلطفه لك الله من كل المضايق مخرجا

يلاحظ أن الشاعر اقتبس قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾ الطلاق/ من الآية 2

وتتوافق الدلالات في المتعالقين ، وثمة مفردات تحيل إلى النص القرآني : تقوى الله ، يجعل ، مخرجا ، لقد استفاد الشاعر من النص القرآني في اللفظ والمعنى ،وتصرف في التركيب بما يوافق السياق الشعري في تجربته .

ويقول في قصيدة له نظمها وهو يغادر وطنه إلى غير رجعة ، مخاطبا ابن المرابط: [101] (الطويل)

وقام يهادي بين وجد ولوعة وللشوق منه ما يعيد ومايبدي

وفي البيت تناص حيث يستحضر الشاعر قوله تعالى : ﴿**قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**﴾ سبأ / 48 ،وقوله عز وجل : ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ البروج . 13، فقد استعار لفظتي (يعيد ويبدي) من النص القرآني الكريم - بترتيب مختلف- ، وأراد أن يعبر عما يقاسيه من شوق لموطنه ولوعة لفقده ،وتصرف فيهما بالتقديم والتأخير مراعاة للقافية، ولكن المقام غير المقام ، فقد ورد في تفسير القرطبي لهذه الآية ، أن رسول الله ﷺكان يقرأ هذه الآية يوم فتح مكة حينما دخل البيت الحرام منتصرا .

ويقول في القصيدة نفسها واصفا رحلته : [102]

يسوق بها تسخير ربك هاديا فتنقاد طوعا إذ يسوق وإذ يهدي

مستأنسا بقوله تعالى : ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ** ﴾ إبراهيم/ من الآية **34**، حيث استعار لفظ " التسخير " في سياق يعمق دلالاته الفكرية وبنيته الفنية ويثري تجربته بالتأثير والايحاء .

ويقول في أحد أبيات معارضته لقصيدة علي ابن الجهم: [103] (الطويل)

له المثل الأعلى فلاند مشبه ولامثل في فضل تسامى عن الحصر

وفي صدر البيت إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ . (الروم / من الآية 26) ، وهناك اتفاق في الفكرة فالبيت ورد ضمن قصائده في الإلهيات التي تشكل مع النبويات نسبة واضحة في الديوان ، فذكر الله حاضر لديه في مشاهد متعددة من شعره ، وهذا البيت ضمن قصيدته التي كلف أن يعارض فيها رائية على بن الجهم في الغزل ،فعارضها وتفوق عليها بقصيدة يؤكد فيها توحيد الله وتنزيهه ، وتشوبها نزعة صوفيه واضحة[104]

ويقول أيضا في القصيدة ذاتها : [105]

كما وجدت في أرض كنعان نفحة ليوسف إذ اقفت العير من مصر

---

[97] الديوان 86

[98] ح 4864

[99] ح2800

[100] الديوان . 78 ، ابن المرابط . زواهر الفكر 2/ 62

[101] الديوان . 100 ، ابن المرابط . زواهر الفكر 2/ 359

[102] الديوان 101، ابن المرابط . زواهر الفكر 2/ 363

[103] الديوان 108. ابن المرابط . زواهر الفكر 1/ 319

[104] تنظر مقدمة الديوان 19

[105] الديوان 110

وفي البيت استثمار من المعين القرآني في قوله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ** ﴾ يوسف / 94 ، فالشاعر في هذا البيت يعبر عن تجربته الصوفية في محبة الله وتنزيهه متأثرا بالتوجه الذي كان سائدا في تلك الفترة على يد ابن مدينته ومعاصره ابن عربي ت 638 هـ وغيره.

وقبل هذا البيت يقول معبرا عن تجارب المحبين في الاعتصام بالله وطلب عونه يقول :[106]

نداؤهم إن مس مسٌ من الجوى جوانحهم: رحماك ياكاشف الضر
فإن يهب الإسعاف منه رسالة تقدمت البشرى على الأسل والسفر

وفي تخميس له في المديح النبوي يقول : [107](من الكامل)

كرمت مناشي أحمدخير الورى
وجرى له القلم العلي بماجرى
ماكان ذلكم حديثا يفترى
لكنه الحق الجلي رسوما صلوا عليه وسلموا تسليما

ويستمد دلالات الشطر الثالث في المقطوعة من القرآن الكريم ،في قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ يوسف/ 111 ، يونس / 37) حيث يقتبس جملة تامة مع تحوير في دلالاتها، فالآيات وردت في قصة يوسف عليه السلام وأبيه واخوته ودلالة الأبيات تعني رسول الله ﷺ، والتحوير في التركيب أيضا بإظهار اسم الإشارة المقدر: ذلكم والابقاء على كان وخبرها وجملة الصفة بعده ، ولكن التعالق النصي الذي يبدو من استثمار النص القرآني هو الاستفادة من السياق العام في الحديث عن كريم نشأته ﷺ وماحُف به من الرعاية والصون، كما أفاد تكثيف الإيحاء بالتجربة الشعورية ،وقوة التأثير في السامعين وتكرار الأمر بالصلاة عليه ﷺ

وقوله أيضا : يخاطب ابن المرابط :[108] (الكامل)

تلكم بضاعتكم ترد إليكم والشيء قد يهدى إلى مولاه

في البيت إشارة إلى النص القرآني : ﴿**وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ** ﴾ يوسف / 65

هذا البيت كان ضمن مساجلات جرت بين الشاعر وابن المرابط ، وذلك ضمن قصيدة للشاعر مطلعها: [109](الكامل)

امشرفي بصفاته وحلاه خلعا علي تفيضهن علاه

والبيت المذكور - موضع التناص- هو الأخير في القصيدة ، ويستمد الشاعر بعض دلالات النص الإيحائية وتراكيبه الأسلوبية ومفرداته من النص الكريم ، مع ملاحظة أن الشاعر حور في الدلالة والسياق ، بما ينسجم مع رؤيته الإبداعية، ومشاعره وانفعالاته .

وضمن أبيات القصيدة نفسها نصادف قوله :[110]

لله ادعو باضطرار إنه ليجيب مضطرا دعا لله

---

[106] الديوان 110
[107] الديوان 151
[108] الديوان 170
[109] الديوان 166 ، ابن المرابط . زواهر الفكر 1/ 287
[110] الديوان 170 ، ابن المرابط . زواهر الفكر 1/ 292

ويشير البيت إلى قوله تعالى :﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ النمل / 64 ، ونلاحظ توافقا في الدلالة واختلافا في البنية الأسلوبية واستعارة مفردات من معجم النص القرآني ببعض اختلاف ، وهي الفعل : أدعو، دعا ، ليجيب ، والمشتقان : اضطرارا، مضطرا

ويقول في القصيدة ذاتها :[111]

أحييت قلبي حين اصبح هامدا وهززته فربت بذاك رباه

يستحضر قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ الحج من الآية5

البيت يتضمن مدحا لصديقه وإشادة بخصالة ضمن الإخوانيات المتبادلة بينهما ، وفيه يعبر عن أن هذه الأخوة كانت مصدر فرح وبهجة حيث زرعت في نفسه كل المشاعر النبيلة والعواطف السامية والمؤازرة الحقيقية ، وحرصا منه على تأكيد هذه المعاني لجأ إلى الاستعانة بالآية الكريمة وتفاعل مع النص الكريم ليثري تجربته ويعمق رؤيته .

وله في رثاء والده : [112] (البسيط)

في مرية من لقاء الله ذو كذب ألقى القناع مراء فيه أو صلفا

ويشير إلى قوله تعالى :﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ فصلت/ 53

اقتبس من النص الكريم بعض مفرداته ،مع تحوير في الأسلوب وتوافق في الدلالات، حيث يعبر الشاعر في تجربته عن حزنه لفقد والده ، وايمانه العميق بلقاء الله واليوم الآخر ، ويذم المكذبين المتكبرين .

ويقول من قصيدة له في رثاء شيخه أبي الحسن سهل ابن مالك ت 639هـ : [113](الطويل)

كأنهم مستمطرون لعارض كعارض عاد للتجلد عارك

وفي البيت اقتباس من قول الله سبحانه : ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الأحقاف / 24

أراد الشاعر أن يعبر عن المصيبة التي حلت بالقوم نتيجة لفقد شيخه و" انتظار الناس لخبر وفاته كأنهم قوم عاد في انتظار العارض المهلك ، والفرق واضح بين محبيه وقوم عاد" (أحمد حاجم الربيعي. 194) فدلالة البيت لا تتوافق مع دلالة النص الكريم ، ولكن التناص خلع على التجربة الشعرية كثيرا من التكثيف والثراء ، واستمد الشاعر من المعجم القرآني لفظتي : مستمطرون ، وعارض، بتحوير في البنية لمناسبة السياق الشعري .

2- **الحديث الشريف والسيرة النبوية:** شغل المديح النبوي حيزا كبيرا من ديوان ابن الجنان ؛ حيث تضمن طائفة من شعره في هذا المجال ، ومدحه ﷺ وتشريفه والثناء عليه منهج رباني ،وإن توجيه الله سبحانه للمسلمين بالصلاة عليه ﷺ من أعظم القربات التي يمكن أن يقدمها المسلم من الناحية النظرية ،وباب من أبواب التوفيق والهداية ، حيث يقول عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب/ 56 ، فقد تضمنت الآية الكريمة فعلي " صلوا " و" سلموا " [114] ، وهذه الحقيقة تجلت بوضوح في شعر ابن الجنان ، حيث أصبحت الصلاة عليه موضوعا محوريا في أشعاره في ثلاث قصائد ،الأولى ميمية في بحر الكامل في اثنين وعشرين بيتاً ، استهل الأبيات السبعة الأولى منها بالأمر بالصلاة عليه بجملة "صلوا على" مطلعها : [115]

صلوا على خير البرية خيما وأجل من حاز الفخار صميما

---

[111] الديوان 167

[112] ابن المرابط . زواهر الفكر 1/ 304

[113] الديوان 132

[114] مقدمة الديوان 28

[115] الديوان 149

وأما الميمية الثانية فهي المخمسة الوحيدة في ديوانه ، وقد جاءت في تسعة وعشرين مقطعا ،و بنى شطرها على جملة " صلوا عليه وسلموا تسليما " ، ومطلعها : **الله زاد محمّدا تكريما**.[116]

وأما القصيدة الثالثة فهي أطول قصيدة للشاعر في هذا الغرض ،فقد جاءت في مائة واربعين بيتاً في الطويل ، وهي الدالية المعروفة بـ " القصيدة المباركة الشريفة " وصيغت بالاسمية ومطلعها :[117]

سلام على من جاء بالحق والهدى ومن لم يزل بالمعجزات مؤيدا

وختامها : **سلام عليهم إن حب جميعهم لتلفيه في مرضاة أحمد أحمدا**

وأغلب المادة الشعرية التي تجلى فيها التناص في الحديث النبوي وردت في المديح النبوي ، وقد حوت مواضيع شتى ، وهي الموضوعات التي شغل بها شعر المديح النبوي بوجه عام ، والشعر الأندلسي- خاصة ، وتدور حول التعبير عن المحبة وذكر الصفات ، والحديث عن المعجزات ،وإظهار الشوق إلى زيارة البقاع المقدسة ،والمناجاة وبث الشكوى وغيرها . ومن الأبيات التي تجلى فيها التناص قوله في قصيدته الدالية :[118]

سلام على من سلمت لجلاله الأمانة م مذ شد الإزار ومذ شدا

يعبر الشاعر في البيت عن إرهاصات النبوة ،ورعاية الله لرسوله ﷺ وحفظه له قبل البعثة ، وفيه استحضار لحديث شد الإزار عند بناء الكعبة ؛حيث روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال :**"لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺوعباس ينقلان الحجارة فقال عباس للنبي ﷺ :اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة ،فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، ثم أفاق فقال إزاري إزاري فشد عليه إزاره"** [119]

وفي قوله :[120]

سلام على من خط للصدق خاتما توسط كتفيه بنور تجسدا

وظف الشاعر ذكر علامة من علامات النبوة في سياق الثناء عليه وذكر صفاته ،وهي ذكر خاتم النبوة ، والحديث في ذلك رواه مسلم [121]وقال القرطبي : **"اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئا بارزا أحمر عند كتفه الأيسر"** [122]

وقوله أيضا في القصيدة نفسها :[123]

سلام على من كان يبصر خلفه كإبصاره مانحوه اللحظ سددا

يشير إلى ما روي أن رسول الله ﷺ قال: "**هل ترون قبلتي ها هنا، فو الله ما يخفى عليّ خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري** " [124] قال ابن حجر:" **وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ ذَلِكَ يَخْتَصُّ بِحَالَةِ الصَّلَاةِ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَاقِعًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ** "[125]، استحضر

---

[116] الديوان 149
[117] الديوان 80
[118] الديوان . 81)
[119] البخاري ح 364
[120] الديوان 84
[121] النووي . شرح صحيح مسلم ح 2345
[122] ابن حجر . فتح الباري 6/ 563
[123] الديوان 84
[124] البخاري ح718 ، ومسلم ح434
[125] ابن حجر . فتح الباري 1/ 515

الشاعر الآية في سياق الحديث عن خصائص النبوة؛ لتعزيز مكانته عليه الصلاة والسلام ،وتعميق تجربته الشعرية وإضفاء المزيد من التأثير والإيحاء على السياق الشعري .

وفي ذات السياق يقول أيضا :[126]

سلام على المغضي حياء وغيرة يخال من اغضاء المهابة أرمدا

الحياء قيمة من القيم الأخلاقية الرفيعة ،ومظهر من مظاهر الإيمان، وسمة من سمات الفضيلة وطهارة القلب ، وقد عبر الشاعر في هذا السياق الشعري عن حسن خلقه وشدة حيائه ، وما اتصف به من هيبة وجلال ﷺ واستخدم اسم المفعول ، والتكرار والمبالغة في تصوير شدة حيائه ، وسمو خلقه في الحرص على مشاعر صحابته والتعبير عن مكانته الرفيعة في نفوس السامعين ، وحرص الشاعر على نقل مشاعر التبجيل والتكريم والتأثير بها معبرا عن عاطفة متدفقة ومشاعر فياضة ، وفي البيت تناص مع ما روي عن أبي سعيد أنه قال : **"كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه"** [127]

وفي قوله أيضا : [128]

سلام على من سلمت قبل بعثه عليه الصخور الصم إذ راح واغتدى

يرتكز هذا البيت على ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: **"إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن"** [129] ، ويعبر الشاعر فيه صدق دعوته ﷺ، ومشاركة الجماد في التسليم عليه ، قال الأمام النووي معلقًا على هذا الحديث: **"فيه معجزة له ﷺ وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾** . البقرة آية 74 ، وقوله تعالى : **﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾** (الإسراء/ 44[130] ،وقد قام الشاعر في صياغة الفكرة بتوظيف الأفعال الماضية في ثلاثة مواضع ، ويحفل البيت بمشاعر الإيحاء التبجيل والإجلال.

وقوله في القصيدة ذاتها : [131]

سلام على من حن حين فراقه له الجذع لم يسطع لوجد تجلدا

يستحضر الشاعر ماورد عن حنين الجذع ، قال ابن حجر :" **في الحديث دلالة على ان الجمادات قد يخلق الله لها ادراكا كالحيوان ، بل كأشرف الحيوان ، وفيه تأييد لقول من يحمل : ﴿وان من شيء الا يسبح بحمده ﴾ على ظاهره"** [132]

وقوله أيضا: [133]

سلام على من فاض بين بنانه من الماء ينبوع كما فضن بالندى

ويبدو حرص الشاعر على " مخاطبة الوجدان وإطراب الأسماع وإثارة المشاعر "[134] من خلال التزامه بتكرار لفظ "سلام" في مطلع كل بيت من أبياته المائة والأربعين في قصيدته الدالية في المديح النبوي ، هذا التكرار الذي يؤدي وظيفة كبيرة في الخطاب الشعري بما يحمله من إيحاءات عميقة ودلالات واسعة .

ويقول :[135] : **سلام على الداعي عليا لراية على آية كانت لعينيه اثمدا**

---

[126] الديوان 85

[127] البخاري ح 6102 ، مسلم ح2320

[128] الديوان 87

[129] مسلم ح 2277

[130] النووي . شرح صحيح مسلم ح 2277

[131] الديوان 88

[132] فتح الباري 6/ 603 ، البخاري ح 3585

[133] الديوان 89

[134] القرارعة سالم عبيد . ظاهرة التكرار في شعر ابن الجنان الأندلسي 337

[135] الديوان 89

لقد صاغ الشاعر في هذا البيت ماورد ليلة الهجرة من أنه عليه الصلاة والسلام خرج من بين محاصريه وترك عليا في مرقده دون أن يتبينوا ذلك[136] ، وقد وظف في ثلاثة مواضع اسم المفعول ،وهو من المشتقات التي تؤدي إلى " توسيع آفاق اللغة، وتنويع الأداء اللغوي "[137] .

ويقول من قصيدة في رثاء امرأة يعزي أخاها :[138] (الكامل)

لو كان ذلك ما بكى أحبابه جزعاً لفقدهم المبارك أحمد

نبكي بكاء ترحم كبكائه ونقول ما يُرضي الإله، فنسعدُ

وفي البيت الثاني اقتباس إشاري من قوله ﷺ " **إن العين تدمع والقلب يحزن ولانقول الا مايرضي ربنا** "[139]

ونظر اً لكون النص الجديد نصا مفتوحا على الشعر والنثر ؛فإن معيار التفاضل بين الشعراء في هذا المجال يظهر في قدرة النص الجديد على تحقيق الوحدة والانسجام بين مكوناته ، كما تكمن وظيفته أيضا في " تحويل الشعري إلى شعري ضمن الأنواع الشعرية ، وتحويل اللا شعري إلى شعري "[140] ، وعملية التحويل هذه ينبغي أن تتم "بصورة وظيفية متداخلة مع أجزاء النص متحولة في نسيجه حيث لا نكاد نميزها "[141] ، وهذا التفاعل والتداخل والانسجام " يعتمد على قدرة المبدع وكفاءته في التعامل مع النصوص السابقة والمعاصرة بوعي إبداعي خلاق جمالي ، سواء أكانت تلك النصوص مشاراً إليها وصريحة لانتمائها للمعارف المشتركة في نطاق المجتمع ، كالمعارف الدينية،والتاريخية، أو كالمعارف الشعبية والأسطورية و غيرها من المعارف التي تنتمي للذاكرة الجماعية، أم كانت خفية مضمرة منصهرة مغمضة تنتمي لثقافة المتلقي واطلاعه وقراءاته المختلفة المصادر والمنابع"[142] .

ثانيا : التناص الأدبي :إن المتتبع لمضامين الشعر الأندلسي عامة و شعر ابن الجيان على وجه الخصوص ؛ يلاحظ أن الثقافة التراثية بكل مكوناتها كانت رافدا خصبا للشعر، و ليس هذا غريبا ، فالتراث الأدبي يعد حافزا قويا للإبداع في كل العصور ، وهو بالنسبة للشعراء " الينبوع الدائم التفجر بأصل القيم وأنصعها وأبقاها ، والأرض الصلبة التي يقف عليها"[143] .

1- أول ما يصادفنا من المادة الشعرية التي تجسد التناص الأدبي : **المعارضة الشعرية** ؛ فقد ازدهر هذا اللون الأدبي في المجالس الأدبية التي كانت تعقد في دواوين الخلفاء وقصور الوزراء والوجهاء وتعني : "أن ينظم شاعر قصيدة على وزن وروي قصيدة شاعر آخر "[144] ويحرص المتاخر على متابعة السابق ومجاراته ، ويجتهد في أن يحقق الإبداع والتجديد ، ويضفي على نصه أصالة ورونقا ، والمعارضة تشكل مظهراًمن مظاهر الانفتاح على الماضي والتفاعل معه ، ولذلك فـ" لايمكن أن تكون محاكاة مطلقة ، لأن المحاكاة المطلقة عملية مجردة من عنصر الإبداع ... وليست المعارضة كذلك "[145] ، وبالنظر إلى هذه المقومات فإنها تدخل ضمن مفاهيم التناص في النقد الحديث ، فلها نفس معنى تداخل النصوص ، حيث يرى بعض النقاد المحدثين:" أن المعارضة أقصى حالات التناص ؛ لأن القصيدة الأولى تجد نفسها في نسيج القصيدة الثانية بحكم اتفاقها في البحر والروي ،فضلا عن انبهار الشاعر بها والمحاولة للتفوق عليها للوصول إلى حالة الإبداع وبيان المقدرة الفنية "[146] .

---

[136] ابن هشام . السيرة النبوية 1/ 182

[137] روقاب جميلة . حاج محمد . دلالة المباني الاسمية في شعر المتنبي . قراءة في مشتقات قصيدة واحر قلباه نموذجا . مجلة أقلام الهند.2020

[138] الديوان 96

[139] البخاري ح1303، ومسلم ح2315

[140] البادي حصة . التناص في الشعر العربي الحديث . البرغوثي نموذجا 23

[141] م . س ، ص . ن

[142] عدنان أحمد . التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج في دراسة المتنبي 23

[143] زايد علي عشري . استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر 7

[144] مطلوب أحمد . معجم النقد العربي القديم 2/ 305

[145] البجاري يونس طركي . المعارضات في الشعر الأندلسي دراسة نقدية موازنة 47

[146] توفيق عمر ابراهيم . طرائق التناص في الشعر الأندلسي . مجلة تكريت للعلوم الإنسانية 182

ويرى بعض النقاد :[147] أن للتناص درجات متعددة ، منها ما يمثل **الحد الأدنى**: وهي التي تتجسد في : خواص شكلية محددة مثل الايقاعات والأوزان والأبنية المقطعية ، ومثل انماط الشخصيات والمواقف .

الدرجة الثانية : وتتمثل في الإشارات المتضمنة والانعكاسات غير المباشرة سواء كانت بالقبول أو الرفض لنصوص أخرى تتعالق معها

وأما **الدرجة القصوى** منه فتقوم فيها تلك الممارسات الاقتباسية التي توجد في المعارضات؛ مما يحيل على مجموعة من الشفرات الأسلوبية والبلاغية المستخدمة في نصوص سابقة بشكل لايمكن أن يخفى على القارئ .

ومن هذا اللون انتظمت معارضة الشاعر لرائية علي بن الجهم 249هـ التي مطلعها :[148] (الطويل)

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

بقصيدة في أربعين بيتاً عن الحب الالهي ، الذي عبر عنه ابن الجهم، و مطلعها :[149] (الطويل)

عيون النهى بين التدبر والفكر جلبن الهدى من حيث ادري ولا ادري

ويقول في ختامها :[150]

نهى النفس عما تشتهيه وصد عن " عيون المها بين الرصافة الجسر"

والقصيدة مشابهة للقصيدة الأولى صوتيا وتركيبيا ،ولكنها مختلفة في المقصدية والموضوع ، ولأن من وظيفة التناص أنه يثري "النص ويمنحه عمقاً ويشحنه بطاقة رمزية لاحدود له ويكون بؤرة مشعة لجملة من الأبحاث تتعدد فيها الأصوات والقراءات "[151]، حيث اعتمدت معارضة ابن الجيان على آلية امتصاص و اعادة إنتاج النص السابق وصياغته بالإضراب عن موضوع الغزل الحسي والتحليق في آفاق روحانية فسيحة بالاستفادة من البناء الفني والتركيب والاحتفاظ بنفس الرونق في المفردات ورصانة اللغة والبناء العام.

2-ومن ألوان التناص أيضا المساجلات : فقد انتشرت المجالس الأدبية في الأندلس وغدا المجال فسيحا للتباري والتنافس بين الشعراء والأدباء، فازدهر هذا الفن في بلاط الخلفاء ودواوين الوزراء وبيوتات الوجهاء وملتقيات الأدباء ، وكان التأثر بالمشارقة وتقاليدهم الفنية والفكرية والاجتماعية واضحا في بداية الأمر ، وسرعان ما اختط الأندلسيون لأنفسهم نهجا متميزا مشبعا بالروح الأندلسية الخالصة ؛ فتبلورت الشخصية الأندلسية في المجالات كافة ، في مزيج متنوع متجانس من الثقافات التي انصهرت في بوتقة الحضارة والثقافة العربية الإسلامية.

والمساجلة في اللغة من : **سَاجَلَ** صَاحِبَهُ : بَارَاهُ، نَافَسَهُ، فَاخَرَهُ في جري، أو قول شِعْر [152] ، **وفن المساجلات** : أن ينظم الشاعر قصيدة وينظم آخرون في موضوعها وبنفس البحر والقافية والروي ، أو باختلاف الروي ، وتكشف المساجلات عن مقدرة إبداعية وثراء لغوي وثقافة ومعرفة تراثية.

ومن المساجلات التي نصادفها عند ابن الجيان قصيدة شينية في عشرين بيتاً مطلعها :(البسيط)

شغفت منها بمن حل الشغاف ومن بين الحشى وسواد القلب يفترش

وقد انتظمت على غرار شينية المتنبي، وشارك فيها عدد من الشعراء في رواية أوردها ابن المرابط في سياق مفصل، قال : " ...وهؤلاء الشعراء في ضيافة المتنبي " بحلب " ، وختمها " المتنبي " في مجلسه لهم على قافية واحدة ، الشين . واول بيت منها و آخره ..."[153] وبيت أبي الطيب المتنبي " البسيط " يقول :

شمس يلوح لها وجه تروق به ماشانه كلف فيه ولا نمش

---

[147] فضل صلاح بلاغة الخطاب وعلم النص 109 ، 110

[148] الديوان 108

[149] الديوان 108م

[150] ابن المرابط. زواهر الفكر 1/ 318

[151] البادي حصة . التناص في الشعر العربي الحديث . البرغوثي نموذجا 23

[152] عمر أحمد مختار وأخرون . معجم العربية المعاصرة . سجل

[153] ابن المرابط . زواهر الفكر 1 / 53

قال ابن المرابط " فلما وقف الفقيه الأجل أبوعبد الله بن الجنان المذكور على ذلك، عمل على البدية أبياتا في ذلك النوع مذيلا بها لتلك الأبيات ليري سهولة ما استصعب من ذلك المركب " [154]ثم ساق قصيدة ابن الجنان المشار إليها .

وورد من المساجلات أيضا قول ابن المرابط : " ولابن عمي القاضي أبي بكر اعزه الله تعالى ، وهو مما كتب به للفقيه الأجل أبي عبد الله المذكور رحمها الله تعالى : ((البسيط)

زارت صباحا ودوح البان مظلول عليلة نشرها للصب تعليل

وهي في أربعة وعشرين بيتاً[155]

فكتب إليه الفقيه أبو عبد الله مجاوباً قصيدة لامية في ستة وخمسين بيتاً ، مطلعها :[156] (البسيط)

اسمع حديثي فإن الصدق مقبول وانظر دليل اشتياقي يبد مدلول

ومنها هذا البيت : [157]

فلي شجون من الأشجان ماعرفت قبلي لمن قلبه بالبين متبول

وفي البيت يستلهم مطلع قصيدة البردة لكعب بن زهير ، الذي يقول :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول

وقد وظف الشاعر على سبيل التناص بعض مفردات البيت من المقدمة الغزلية في أبيات من مقطوعة في الإخوانيات ، يعبر فيها عن شوقه لصديقه ويدعو له ، ولأن المعنى يستنبط استنباطا من النص، ويقربه استخدام بعض المفردات من النص الغائب ، وهي لفظة اسم المفعول " متبول " والفعل " بانت " حيث تصرف الشاعر في بنية الفعل "بانت " فجاء بالمصدر " البين " وهذا ماندعوه بتناص الأفكار أو المقروء الثقافي أو الذاكرة التاريخية التي تستحضر تناصاتها بروحها أو بمعناها لا بحرفيتها أو لغتها أو نسبتها إلى اصحابها ، وتفهم من تلميحات النص وإيماءاته وشفراته وترميزاته"[158] .

ومن المساجلات أيضا قصيدته التي بارى فيها جلساءه في وصف الطاووس، ووردت في ثلاثة عشر بيتاً يقول مطلعها :[159] (الكامل) .

انظر إلى الطاووس قام تخدما في مجلس الندب السميدع أحمد

وفيها يقول: [160]

فأدار من ريش عليه منضد فلكا إليه سمت عيون الرصد
فالتاح ما ارتاح الفؤاد لحسنه إذ لاح للطاووس حسن المقصد
ولربما أصغى لمنشده وقد غنى بألحان الغريض ومعبد

---

[154] م . س ، 1/ 54
[155] م . س ، 1/ 369
[156] م . س ، 371/2
[157] الديوان 142
[158] الزعبي أحمد . التناص نظريا وتطبيقيا 20 .
[159] ابن المرابط . زواهر الفكر 1/ ، الديوان 107
[160] الديوان 107

الغريض أبوزيد عبد الملك ، ومعبد أبو عباد المدني ، كلاهما من مغني العرب المشهورين في صدر الإسلام والعصر الأموي حتى أصبحا مضرب المثل ، وقد استعار الشاعر اسمين من أسماء أعلام في التراث العربي حملت دلالات خاصة ، وعمل على توظيف العلمين إلى تقوية فكرة الشاعر في وصف جمال صوت الطاووس .

ثم انبرى القاضي أبوبكر المرادي فقال قصيدة في الموضوع نفسه في اثني عشر بيتاً مطلعها :[161]

انظر إلى الطاووس في موشية ذهبية يعنو لها الديباج

والملاحظ أن شعر المساجلات يشكل تعالقاً نصياً ، ومظهراً من مظاهر تحاور النصوص على مستوى جزئيات الخطاب في المضامين والتراكيب ، وهذه المقومات تدخل في صميم مفهوم التناص والتداخل النصي.

3-وقد تجلى التناص أيضا **في التناص الشعري** : ويعني أن يستعير الشاعر شطرا من بيت ، وتجسد ذلك في قصيدته الدالية في المديح النبوي المشار إليها في مواضع من هذا البحث ، وفيها يقول :[162]

سلام على من قيد الخلق حبه ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا

استحضر شطر بيت المتنبي في مدح سيف الدولة الذي يقول فيه :

وقيدت نفسي في ذراك محبة "ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا "

والقصيدة مطلعها :

لِكُلِّ اِمرِئٍ مِن دَهرِهِ ما تَعَوَّدا وَعادَاتُ سَيفِ الدَولَةِ الطَعنُ في العِدا

لقد أعاد الشاعر إنتاج البيت في مشهد جديد وبصورة تنسجم مع تجربته الشعرية، وتتناسب مع مشاعره في النص الجديد ، ولأنه كان يريد أن يعبر عن مكانته عند المسلمين ومحبته الراسخة في قلوبهم ؛ فقد استحضر الحكمة الكامنة في شطر البيت وما تحمله من دلالات معبرة عن رؤيته .

ويأتي التناص الشعري بصورة أخرى تحوي تضمين البيت لبعض المفردات ، وهذا اللون من التناص شغل مساحة واسعة من شعر ابن الجنان ، وتعددت نماذجه في الديوان ، ومن ذلك قوله في رثاء والده بقصيدة جاءت في مائة وواحد وسبعين بيتاً مطلعها :[163] (البسيط)

لا أمنع الدمع أن يهمي وأن يكفا ولا أزال بربع الحزن معتكفا

ويقول فيها :[164]

أبى مصاب أبي مني السلو فيا قلبي وجفني قفا نبك الحبيب قفا

وظف مطلع معلقة امرئ القيس الذي يقول فيه :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وذلك في سياق التعبير عن الحزن ومعاناة ألم الفقد والشعور باللوعة ،واحتفظ ببعض المفردات بتصرف في تركيبها مراعاة للسياق ، فصارت منسجمة ضمن النسيج الشعري لاتكاد تنفصل عن بنيته؛ وذلك بهدف تعميق رؤيته وإثراء تجربته وإضفاء دلالات إيحائية على نصه.

---

[161] م . س ، ص . ن

[162] الديوان 85

[163] الديوان 118 ، ابن المرابط .زواهر الفكر 1/ 304

[164] الديوان 120

وإذا كان من أبرز المقومات التي تعتمد عليها تقنية التناص، هي أنه :" فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة "[165] ، فإن هذا يمكن أن يسري على ماورد في قوله مخاطبا صديقا له ، ومعبرا عن الشوق إلى وطنه في قصيدة عدد أبياتها ثمانية وثمانون بيتاً مطلعها :[166] (الطويل) .

سلام كما قد جاء من ذلك المجد كشمس الصبا جرت ذيولا على نجد

ثم يقول :[167]

وإن فراقي ربعة فوق فرقتي لأول أرضي مس ترب بها جلدي

ويقول بعد أبيات :[168]

فقلت كما قالت علاك تمثلا : " فما انفس المهدي وما أكرم المهدي"

يبدو في هذا البيت متأثرا بقول ابن الرومي في رثاء ابنه :

بُنَيَّ الذي أَهْدَتْهُ كَفَّايَ للثَّرَى فَيَا عِزَّةَ المُهْدَى ويا حَسْرة المُهدِي

فقد عمل على امتصاص مضمون نص ابن الرومي وما يحويه من طاقات فكرية ومشاعر مشحونة بألم الفقد ؛ للتعبير عن عمق تجربته ومشاعره الزاخرة بالحنين إلى بلده ،ومكابدة الشعور بالغربة ، ثم صاغة صياغة جديدة ؛حيث توافقت فيها مشاعر المعاناة والشعور بعمق الألم في النصين ،وأدت إلى تضمين شعره طاقة إبداعية وصياغة لغوية أحدثت المزيد من الإيحاء والتأثير . ورجح محقق الديوان[169] أن ابن الجنان قالها بعد عام 641هـ من سبته أو بجايه بعد رحيله عن بلده.

ثالثا التناص التاريخي : وقد تجلى هذ اللون في:

1. تناص الأعلام : استدعاء الشخصيات التراثية تقنية مهمة في النص الشعري ، حيث يعبر عن مدى ارتباط الشعراء بالموروث الحضاري، وتوظيفه في تعميق رؤاهم الشعرية وتعزيز تجاربهم " بانفتاحها على هذ الينابيع الدائمة التدفق بإمكانات الإيحاء ووسائل التأثير "[170] ، ولأنه يضفي عليها "نوعا من الأصالة الفنية عن طريق إكسابها هذا البعد التاريخي الحضاري "[171] ، متخطيا كل الحدود الزمنية ومتجاوزا المسافات المكانية بما يؤدي لإثارة الدلالات والمشاعر والإيحاءات التي ارتبطت بهذه الشخصيات تلقائيا في وجدان المتلقي.

وقد ورد هذا اللون من التناص بشكل ملحوظ في مواضع من شعر ابن الجنان ؛ خاصة في مراسلاته مع القاضي أبي بكر ابن المرابط المالقي ، ت 658 هـ ،عم مُحَمَّد ابن المرابط صاحب جواهر الفكر[172] ، ومن ذلك قوله في أبيات من قصيدة له في ثلاثة وسبعين بيتاً مطلعها :[173](الكامل)

يامن غدا بجوانحي مثواه حبا طوى قلبي عليه الله

وقصيدة ابن الجنان يقول فيها :[174]

أتراه عاصر جرهما ميلاده أتراه إسماعيل قد رباه

---

[165] مفتاح مُحَمَّد . تحليل الخطاب الشعري استراتيجية النص 121

[166] الديوان 99

[167] الديوان 102

[168] الديوان 103

[169] الديوان 99

[170] زايد علي عشري . استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر 19

[171] م . س ، ص . ن

[172] المراكشي. ابن عبد الملك .الذيل والتكملة 4 /123

[173] ابن المرابط . زواهر الفكر 1 / 286

[174] الديوان 167

جرهم بن قحطان جدٌّ جاهلي يماني قديم. كان له ولبنيه ملك الحجاز. ولما بُني البيت الحرام بمكة كان لهم أمره، [175] ، استثمر الشاعر الفعل عاصر ، مع جرهم في صياغة البيت ، يريد التعبير عن سلالته العريقة ، والفعل رباه مع إسماعيل (عليه السلام) ليدلل على نبل الخلق كرم المحتد وشرف الأرومة .

ثم يقول : [176]

تلك البدائع لا البديع درى بها يوما ولاخطرت بفكر سواه
وصناعة تنسيك صنعاء بما وشاه مبتدعا وما أنشاه
ماقصها قس ولاسمعت بها للأصمعي بحلة أذناه
سحبت على سحبان ذيل اذاله وأرت زهيرا نقص مارواه
وزعيم كندة لو رآها مرة للوى لواء الشعر أو القاه

يستحضر في البيت الأول ذكر بديع الزمان الهمداني، رمز الطريقة المتميزة في الكتابة وصاحب المقامات الشهير .ت 398هـ .

وصنعاء اليمن ، "منسوبة إلى جودة الصنعة في ذاتها... والنسبة إليها صنعاني على غير قياس كالنسبة إلى بهراء بهراني"[177] ، و"بها دار لعمل الثياب المنسوبة إليها" [178] ،والمدينة شاهد على حضارة أصيلة تجمع بين الجمال المعماري والفن الرفيع ، وقد استعار الشاعر اسم المدينة معتمدا على ما تحمله لها ذاكرة المتلقي من شعور بالجمال والفخامة؛ ثم ذكر قسا بن ساعدة الإيادي الخطيب المشهور ،ت نحو 23 ق هـ، كما ذكر الأصمعي " عبد الملك بن قريب " الراوية المشهور ،ت 216هـ.

وأشار إلى سحبان بن وائل الخطيب المشهور (ت54 هـ) وإلى زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي الحكيم ، ت 13 ق هـ .

واستعان في البيت الأخير بذكر امرئ القيس الشاعر الجاهلي المعروف ،ت 80 ق هـ .

كل هذه المتناصات من النماذج التراثية التي استحضرها الشاعر، ووظفها في مقام التعبير عن مدح صديقه والإشادة بمهارته ،وذكر مقدرته الأدبية المتنوعة ومكانته الرفيعة، وذكره لشخصيات تحتفظ لها الذاكرة الجماعية بمكانة مرموقة، وصورة مشرقة ؛ كان لها دور في تأدية المعنى والتعبير عن المقدرة الأدبية الرفيعة للممدوح، والإشادة بما يمتلكه من براعة في صناعة الإنشاء ومقدرة في صياغة الكلام وتفوق في وشيه .

ومن تناص الأعلام أيضا قوله في قصيدته اللامية يخاطب القاضي أبا بكر ابن المرابط : [179] (البسيط)

يا للغريب الذي شط المزار به فللجوى والنوى فيه افاعيل
قد جن شوقا إلى احبابه فغدا كأنه في الورى المجنون " بهلول "

وبهلول بن عمرو الصيرفي أبو وهب ، من عقلاء المجانين ، له أخبار ونوادر وشعر ، عاش في الكوفة ، ثم قربه الرشيد ، وكان من المتأدبين ثم اختل فعرف بالمجنون ت 190هـ.[180] ، اراد أن يعبر عن شوقه الشديد وحنينه إلى اهله وبلده فاستعار لمعاناة الغريب وشعوره بالوحدة والغربة من ذاكرة التراث علما من عقلاء المجانين ، وما يحمله الاسم من حمولة فكرية ،ودلالات إيحائية شعورية ،للتعبير عما لاقاه من مشاعر الشوق والحنين إلى الوطن ،وذهاب العقل لفقده .

وفي قوله: [181] (الطويل)

لذلك ما أبكي كأني متمم اتم ما أبقى الأسى بعد مالك

---

[175] الزركلي . الأعلام 2/ 118
[176] الديوان 168
[177] الحموي ياقوت . معجم البلدان 3/ 125
[178] الحميري ابوعبد الله. الروض المعطار 359
[179] الديوان 142
[180] الزركلي . الأعلام 2/ 77
[181] الديوان . 131- 134

وسهل عندي أن أرى الحزن مالكي مصابي بالفياض سهل بن مالك
أمام هدى كنا نقلد رأيه كتقليد رأي الشافعي ومالك
ومن لشعار الزهد أخفى بالغنى ففي طيه فضل الفضيل ومالك

متمم بن نويرة التميمي شاعر من أشراف قومه ، اشتهر في الجاهلية والإسلام برثائه لأخيه مالك . ت نحو 30 هـ [182] ، وأخوه مالك أبو حنظلة شاعر فارس ، قتل سنة 12 هـ [183]

والأبيات من قصيدة يرثي فيها شيخة أبا الحسن سهل بن مالك الأزدي ، وكتب بها إلى بنيه يعزيهم بفقده ، وكان من أعيان مصره وأفاضل عصره تفننا في العلوم، وبراعة في المنثور والمنظوم ت559هـ - 639هـ [184] ، لقد تفاعل الشاعر مع الموروث الأدبي فذكر من الأعلام متمما و مالكا ، فاندمج العلمين في بنية النص وأسهما في إثراء تجربته الشعرية في التعبير عن لوعة الفقد وإضفاء دلالات شعورية على النص ، مستخدما من المحسنات البديعية : متمم ، اتمم ، سهل ، سهل مالكي مالك .

ثم يسترسل في التعبير عن منزلته العلمية الرفيعة التي تضاهي مكانة كبار الأئمة: الأمام الشافعي والأمام مالك ، كما يستحضر في التعبير عن زهده اسم الفضيل بن عياض شيخ الحرم المكي من اكابر العلماء والصلحاء ت 178هـ .[185] وعن صلاحه وورعه يستحضر مالكا بن دينار البصري من رواة الحديث الصالحين، ت 131هـ .[186]

إن هذا الاستدعاء المكثف للشخصيات التراثية بكل أطيافها وملامحها ، وحمولتها الفنية والأدبية والتاريخية والحضارية ،تتعالق جميعها مع رؤيا الشاعر، ويتم توظيفها فنيا للتعبير عن تجربته الشعرية؛ لأن الشاعر يعمل على " إحيائها من جديد بفضل الدلالة الجديدة التي تكتسبها" [187] ، والشاعر يعتمد على حضور هذ الموروث الأدبي والتاريخي الذي تجسده الشخصيات في ذاكرة المتلقين ووجدانهم ، فيؤدي بذلك إلى إحداث كثير من الدلالات والإيحاءات والمشاعر ، ومن المهم أن نشير إلى أن هذا التوجه في الارتكاز على الموروث الفكري والأدبي والثقافي واستدعاءه في الشعر- مثلما رأينا عند ابن الجنان - دعا له إليوت (Eliot.T.S) الناقد الانجليزي سنة 1917م ، حيث يقرر " أن خير مافي عمل الشاعر وأكثر أجزاء هذا العمل فردية ،هي تلك التي يثبت فيها أجداده الموتى خلودهم " [188] ، بل إن ذلك هو مايمنح العمل الأدبي قيمته فـ" ليس لشاعر أو فنان في أي نوع من الفنون قيمته الكاملة بنفسه ، وإنما تترتب قيمته على أساس علاقته بالسلف من الشعراء والفنانين "[189]

2.تناص المواضع : يشكل المكان في الرؤية الشعرية اهمية خاصة ؛بما يخلعه على النص من دلالات فكرية ، وطاقات جمالية ،وأبعاد شعورية وملامح تعبيرية ،وما يؤديه من تكثيف للرؤية الشعرية ،وإضفاء للجانب التأثيري والإيحائي . والبحث عن المكان في النص الشعري مدخل من مداخل ريادة آفاق النص واستكشاف خفاياه وأسراره ، وذلك لما يجسده المكان في النفس البشرية من رموز وارتباطات شعورية في التجربة الشعرية .

والملاحظ أن المواضع التي ذكرت في النصوص الشعرية خاصة في قصائد المديح النبوي ،تجلت في الأماكن المقدسة ، وهي الأماكن التي لها حضور عميق في الوجدان الإسلامي ، وقد عمل الشاعر على توظيفها في تحريك القيم الروحية ،وإحداث ظلال من الإيحاءات والمشاعر؛ ففي قوله : [190]

صلوا على من شرفت بوجوده ارجاء مكة زمزما وحطيما

إن لذكر مكة والحطيم وزمزم في نفس المسلم وقعا مؤثرا ؛لأنها تحرك في نفس السامع شعورا متدفقا بالشوق والحنين ، هذه الأماكن التي احتضت الدعوة الإسلامية في مهدها ؛وشهدت نفحات الوحي وتعطرت بأنوار الهداية .

---

[182] الزركلي . الأعلام 5/ 274
[183] الكتبي ابن شاكر . فوات الوفيات 3/ 233
[184] المراكشي ابن عبد الملك . الذيل والتكملة 2/ 98
[185] الزركلي . الأعلام 153/5
[186] م . س ، 5 / 153، 260
[187] زايد علي عشري . استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر 79
[188] م . س ، 33
[189] م . س ، 34
[190] الديوان 148

وقوله:[191]

سلام على من لاح برهان بعثه فأتهم في اقصى البلاد وأنجدا

وذكره لتهامة ونجد من المواضع الحجازية التي لها حضور وافر في قصائد المديح النبوي قديمه وحديثه .

والتشوق إلى الديار المقدسة ، من الموضوعات الأثيرة في الشعر العربي عامة والأندلسي- على وجه الخصوص ، وفيها وصف لركب الحجيج ،وذكر المشاعر المقدسة ، كما تتضمن الوصف الدقيق للحل والترحال وإبداء الشوق والهيام لشهود هذه المشاعر .

وذكر الأماكن الحجازية نابع من قدسيتها ؛فهي مهبط الوحي وموطن مولده ﷺ وبعثه ، ولأنها شهدت صولاته وجولاته لنصرة الحق والذود عن حياضه ومقاومة المشركين وكسر شوكتهم، لذلك جاءت هذه القصائد فياضة بالصدق ناضحة بالشفافية مترعة بالمحبة مشحونة بالتشوق لزيارة أقدس البقاع .

ومن نماذج هذا اللون الشعري قصيدته في الحج ووصف ركب الحجيج وذكر الشعائر، وجاءت في ثلاثين بيتاً يقول فيها :[192]

ركابا سرت بين العذيب وبارق نوابيج في تلك الشعاب نواعجا
تيممن من وادي الأراك منازلا فيطوين آلا في الأراك سجاسجا
ألا بأبي تلك الركاب اذا سرت هوادي يملأن الفلاة هوادجا
لهم من منى أسنى المنى ولدى الصفا يرجون من أهل الصفاء المناهجا
ولما دنوا نودوا هنيا وأقبلوا إلى الركن من كل الفجاج أدارجا
فلله ركب يموا نحو مكة لقد كرموا قصدا وجلوا مناسجا

وكان لركب الحجيج مكانة خاصة ، حيث أدى دوراً فعالا في مد جسور التواصل الحضاري بين الشعوب ، وكان التراب الليبي أحد المسالك الشهيرة في رحلات ركب الحجيج عبر العصور ؛ ذلك أن " الطرق التي كان يسلكها الحجاج الأندلسيون الى البقاع المقدسة .. اتخذت أساليب مختلفة ؛منها ما هو بحري ،وما هو بري ،ومنها ما يجمع بين الأسلوبين "[193] ، حيث عملت هذه الرحلات على إرساء " تقاليدها الإجرائية التنظيمية وأدبياتها الغزيرة المحررة في الرحلات الحجازية – أو الحاجية –"[194] ،وثمة شواهد حضارية متنوعة؛ مادية وفكرية وثقافية واجتماعية مهمة ،موزعة على جميع خطوط التواصل ؛عبر المدن الساحلية والواحات الداخلية[195]؛ ما زالت في حاجة إلى بحوث متأنية ،ونظرات فاحصة ،وأحكام أكثر موضوعية .

الخاتمة والنتائج :

توصل البحث إلى نتائج يمكن عرضها فيما يلي :

1. التناص آلية نقدية حديثة ، لها جذورها في الفكر النقدي العربي القديم ، وهي من الأدوات المهمة في كشف خفايا العمل الأدبي وتتبع مساراته وقوانينه ،وتلمس مواطن الإبداع فيه، والسماح بتعدد وجوه القراءات .

---

[191] الديوان 83
[192] الديوان 75
[193] مكي محمود علي . أثر الحج في الثقافة الأندلسية ورحلة ابي مروان الباجي .أعمال ندوة طريق الحج 63
[194] حجيدر عمار . مؤسسة الحج . أعمال ندوة طريق الحج 29
[195] تنظر مجلة دعوة الحق . كتاب : أمير مغربي في طرابلس 1143هـ 176

2. إن تطبيق هذه الآلية على الشعر العربي قديمه وحديثه؛ يمكن أن يسهم في الكشف عن بنياته التركيبية وخصائصه المعرفية ومقوماته الفنية وتجلياته الإبداعية، والسماح بتعدد وجوه القراءات ؛وذلك بإيجاد تفاعل بناء بين العملية الإبداعية والمعرفة النقدية بصورة أكثر عمقا وتخصصا ؛ بما يؤدي إلى البحث عن مسارات نقدية ،تؤصل لبلورة حركة نقدية عربية حديثة ،وفق رؤية منفتحة ،تراعي الخصوصيات وتتوافق مع الثوابت والمعتقدات، مستفيدة من النظريات النقدية الحديثة ،بما لها من إمكانيات نقدية واسعة ،وأدوات متطورة ،ورؤية عميقة للعمل الأدبي .
3. كشف هذا البحث عن نموذج من النماذج من الشعرية التي كانت تشكل تيارا مهما في الحياة الأندلسية، وكان لها حضورها وأعلامها ومجالسها التي أسهمت في توجيه الحياة العامة، وإثراء الحركة الأدبية والنقدية في ذلك الوقت ، كما كشف عن حركة أدبية نشطة في شرق الأندلس خلال الفترة الموحدية ؛ كانت تتم تحت رعاية الأمراء وبتوجيه من العلماء والأدباء والمبرزون ، في بلاط الأمراء وداخل قصور الوزراء والوجهاء ، وتجسدت في المساجلات والمعارضات والمكاتبات التي يوثق ديوان ابن الجيان كثيرا من نماذجها، خاصة قصائده في الشعر الديني والمديح النبوي والتشوق لزيارة الأماكن المقدسة ،وقصائده في الإخوانيات وفي التعبير عن قسوة الغربة الحنين الى الأوطان وبكاء الديار.
4. كشف هذا البحث عن نموذج من الشعراء الذين كانت لهم مكانتهم الشعرية المرموقة في هذه الفترة ، شاعر مطبوع متمكن من أدواته الشعرية ،ذي رؤية عميقة متوازنة ولغة متدفقة ، سيال القريحة ، واسع الفكر، مشحون بالثقافة الإسلامية، مسكون بقيمها، شغوف برموزها ، ،وقد بدا تأثره بالثقافة الأندلسية والروح الأندلسية واضحا في مواضع من شعره ؛خاصة في المديح النبوي المشحون بصدق العاطفة، وفي الإخوانيات وبكاء الأوطان. وقد شغلت المتناصات بأنواعها المختلفة مساحة واسعة في ديوانه ،واكتفى البحث بعرض نماذج منها بما يكفي لكشف تجليات التفاعل النصي .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم . رواية قالون

أولا: المؤلفات التاريخية والأدبية :

1. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة . نشر وتصحيح عزت العطار الحسني . مكتبة الخانجي . القاهرة . 1955-
2. ابن الجنان . ديوان . جمع منجد مصطفى بهجت .دار لسان العرب . 1990 . الموصل
3. ابن الخطيب لسان الدين . الإحاطة . دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، 1424 هـ . (2002م)
4. ابن القاضي أحمد المكناسي . جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس . دار المنصور للطباعة والوراقة . الرباط . 1973
5. ابن المرابط محمد بن علي زواهر الفكر وجواهر الفقر ، تح احمد المصباحي . منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب
6. ابن بسام . الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة: ابن بسام: تحقيق د. احسان عباس: بيروت
7. ابن رشيق . العمدة في محاسن الشعر وآدابه . تح .قرقزان .مطبعة الكاتب العربي .دمشق .1994 . ط . 2 .
8. ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى .المغرب في حلى المغرب ، تح شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط3 ، ،1955
9. ابن عذارى أحمد بن محمد . البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب . تح بشار معروف عواد . دار الغرب الإسلامي . تونس . ط 1 . 2013
10. ابن فرحون ابراهيم بن . الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تح: محمد الأحمدي ، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة
11. ابن هشام .عبد الملك بن ايوب الحميري . السيرة النبوية .تح مصطفى السقا وآخرون . مكتبة مصطفى البأبي الحلبي . ط 2 . مصر . 1955.
12. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. مكتبة الثقافة الدينية . الاسكندرية . 2002. ص 557 ، 558
13. البادي حصة . التناص في الشعر العربي الحديث . البرغوثي نموذجا . دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع . ط 1 . عمان 2009
14. البجاري . يونس طركي . المعارضات في الشعر الأندلسي دراسة نقدية موازنة .دار الكتب العلمية .بيروت . ط1، 2008
15. البخاري محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . تح : محمد زهير بن ناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ

16. بهجت مصطفى منجد . الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة . وزارة التعليم العالي . الموصل . 1988
17. جحيدر عمار . مؤسسة الحج . أعمال ندوة طريق الحج: جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب . منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم – ايسسكو - القاهرة . 2007.
18. الجرجاني عبد القاهر . اسرار البلاغة .تح محمود شاكر ط1 . دار المدني ، جدة .
19. حسين مسلم حسب . الشعرية العربية أصولها ومفاهيمها واتجاهاتها . منشورات ضفاف . البصرة . ط 1 ، 2013
20. الحملاوي أحمد . شذا العرف في فن الصرف. تح .نصر الله عبد الرحمن . مكتبة الرشد . الرياض .
21. زايد علي عشري . استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان . 1978. طرابلس . ليبيا
22. الزركلي خير الدين بن محمود . الأعلام . دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر ،2002 م
23. الزعبي احمد. التناص نظريا وتطبيقيا . مؤسسة عمون للنشر والتوزيع . عمان . ط 2 . 2000
24. عدنان أحمد .التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج في دراسة شعر المتنبي . دار المأمون للنشر والتوزيع . عمان. ط / . 2012.
25. الغبريني أحمد أبو العباس . عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة: تح : عادل نويهض: دار الآفاق الجديدة، بيروت ط: 2 ، 1979
26. فضل صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . 164. الكويت
27. القرارعة سالم عبيد عبد المحسن . ظاهرة التكرار في شعر ابن الجنان الأندلسي . 1433هـ / 2012 . PDF. http://www.azhar.edu.eg
28. القزويني الخطيب. تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع ط1 المكتبة العصرية ، بيروت ، 2002م
29. الكتبي ابن شاكر مُحَمَّد . فوات الوفيات المؤلف، تح إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ، ط 1 ، ، 1973، 1974
30. المراكشي. ابن عبد الملك . الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة تح احسن عباس .مُحَمَّد بن شريفة . بشار عواد . دار الغرب الإسلامي . تونس ط1/ 2012
31. المراكشي. محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي .كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين. تح: صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ط 1، 1426هـ - 2006م
32. مفتاح مُحَمَّد . تحليل الخطاب الشعري " استراتيجية النص " الدار البيضاء . المغرب ، دار التنوير للطباعة والنشر . 1985
33. المقري أبو عبد الله . نفح الطيب تحقيق مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد: القاهرة / 1367هـ. احسان عباس . دار صادر . بيروت . 1968م
34. مكي محمود علي . أثر الحج في الثقافة الأندلسية ورحلة أبي مروان الباجي . أعمال ندوة طريق الحج: جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب . منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم – ايسسكو - القاهرة . 2007.
35. منجد مصطفى بهجت . الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة ، الموصل ، نشر وطبع مديرية دار الكتب ،1988 .
36. النايلة عبد الجبار علوان . الصرف الواضح .وزارة التعليم العالي . جامعة الموصل . 1988
37. النبهاني يوسف بن إسماعيل . معجم أعلام شعراء المدح النبوي - - المكتبة الشاملة الحديثة
38. النووي أبو زكريا محيي الدين ، شرح صحيح مسلم ، دار المعرفة ، بيروت ، 1379 هـ

ثانيا : القواميس والمعاجم :

1. الحميري أبو عبد الله مُحَمَّد . الروض المعطار في خبر الأقطار ،تح إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ط 2 ، 1980
2. الحموي ياقوت شهاب الدين. معجم البلدان . دار صادر، بيروت . ط 2 ، 1995 م
3. ابن دريد أبوبكر مُحَمَّد الأزدي .جمهرة اللغة المؤلف . تح . رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين - بيروت . ط . 1 . 1987م
4. ابن منظور مُحَمَّد بن مكرم . لسان العرب ، دار صادر - بيروت ، ط 3 - 1414 هـ
5. الزبيدي مرتضى مُحَمَّد . تاج العروس من جواهر القاموس . تح مجموعة من المحققين . دار الهداية .
6. طبانة بدوي . معجم البلاغة العربية. دار المنارة، جدة . دار الرفاعي . الرياض. ط 3، 1408 هـ / 1988 م
7. عمر أحمد مختار وأخرون .معجم العربية المعاصرة . عالم الكتب . القاهرة ط1 . 2008
8. مطلوب أحمد ، معجم النقد العربي القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1989
9. المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مجموعة من المؤلفين) . دار الدعوة

ثالثا : المجلات والدوريات :

1. أبو عبيلة آيات مُحَمَّد . التناص الشعري في شعر ابن زُمَرك الأندلسي733-797 هـ دراسة تحليلية في نماذج مختارة. دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد ،46 العدد 2019 . عمادة البحث العلمي وضمان الجودة بالجامعة الأردنية

2. البنداري حسن ، صرصور عبد الجليل ، ثابت عبلة . التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر. مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ،2009 المجلد ،11 العدد 2
3. توفيق عمر ابراهيم .طرائق التناص في الشعر الأندلسي. مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية . مجلد 15 عدد 4 ايار 2008
4. روقاب جميلة .هني محمّد حاج . دلالة المباني الاسمية في شعر المتنبي: قراءة في مشتقات قصيدة"وا حرّ قلباه" نموذجا .مجلة اقلام الهند . السنة الخامسة، العدد الأول، يناير- مارس 2020 www.aqlamalhind.com
5. سلبي علي . طهماسي عبد الصاحب . التناص القرآني في الشعر العراقي ؛ دراسة ونقد . مجلة اضاءات نقدية . (فصلية محكمة) السنة الثانية ـ العدد السادس ـ صيف 1391 ش / حزيران 2012 . طهران .
6. عبد الله أحمد. التناص الديني في ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين لإبن جابر الأندلسي .مجلة كلية المعارف الجامعية . المجلد (31) العدد (2) لسنة (2020) الأنبار ، العراق.
7. مجلة : دعوة الحق . عدد 176 . [كتاب] أمير مغربي في طرابلس 1143 هـ 1731م أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الاسحاقي
8. الياسين ابراهيم منصور . تجليات التناص في الرسالة الجدية لابن زيدون . دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، ، المجلد 42 العدد 3 ، 2015 . عمادة البحث العلمي وضمان الجودة بالجامعة الأردنية